الرابطة

السنة ٥٣ العدد ٦٠٨ رمضان ١٤٣٨هـ - يونيو ٢٠١٧م

مؤتمر للرابطة في جامعة لندن عن التسامح في الإسلام

العيسى: إذا طغت الوحشية تبادلت مع جنس الحيوان الوصف والدور

رسائل (مركز الحرب الفكرية) تنطلق بمشروع «عالي» لمواجهة أيديولوجية التطرف

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي

السنة ٥٣ العدد ٦٠٨ - رمضان ١٤٣٨هـ - يونيو ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

رُبَّ ضارة نافعة

حاولت بعض وسائل الإعلام المزايدة على حديث معالي الأمين العام الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى الذي نشرته إحدى الصحف الألمانية حول حجاب المرأة المسلمة في البلاد غير الإسلامية. وهو حديث تردد من قبل عند مخاطبة الجالية الإسلامية في بروكسل بحضور ممثلي عدد من الأديان والصحافة الأوروبية.
هذا الحديث أعادت الرابطة نشره وإيضاحه بالصوت والصورة، تجنبًا لما قد يقع من سوء فهم، وقد اشتمل على الآتي:
«على المسلم احترام دساتير وقوانين وثقافة البلدان التي يعيش فيها كما هو عهده عندما دخلها، وعليه المطالبة بخصوصيته كالحجاب وفق المتاح قانوناً، فإذا رُفض طلبه فعليه الالتزام بقرار الدولة؛ فإن كان مضطراً بقي وله حالة الضرورة، وإلا فعليه مغادرة البلد واحترام عهده وميثاقه عندما دخلها».
هذا النص الواضح المحدد جرى نقله نقلاً غير أمين مما أدى إلى اختزاله وتحريفه، ومما دفع بالبعض للانجرار إلى تعقيبات غير إيجابية ، وبنى البعض الآخر على ما سمع أغلوطات ومجادلات دون أن يتثبت أو يتبين. وليت هؤلاء وأولئك وقفوا عند النصح للأمة، فلا يزال أمرنا معتدلاً ما التزمنا مشاورة أهل الرأي والصلاح والنصح بالخير.
وكما يُقال: فرُبَّ ضارة نافعة! فلقد أثارت هذه الحملة المفتعلة اهتمام الرأي العام إلى الرابطة، ولفتت الأنظار إلى خطابها البيِّن الواضح، وهو أمر يُحسب في الجانب الإيجابي في المحصلة العامة. وهل يتكوَّن الرأي العام من حيث مضمونه أو من حيث اتجاهه وقوته إلا من خلال النقاش العام الذي يؤثر في سلوك الأفراد وآرائهم واتجاهاتهم؟
إن رابطة العالم الإسلامي لا يكون لها تأثير فاعل في محيطها أو في العالم من حولها وهي خاملة الذكر محدودة التفاعل. وما يرجى منها في المرحلة القادمة هو المزيد من المشاركة مع المنظمات والمؤسسات في بلاد الأقليات المسلمة لمعالجة عُضَل المسائل التي تحتاج إلى اجتهاد الرأي ومشاورة أهل العلم، ومن هذه المسائل ما تعلقت بتصاريح بناء المساجد وارتفاع المآذن، والمناهج الدراسية، ومقابر المسلمين، ومحاكم الأحوال الشخصية للمسلمين، واللحم الحلال، وهي قضايا تتباين وجهات النظر القانونية حولها في كل بلد من بلدان الأقليات المسلمة.
والرابطة هذا دأبها في كل ما يصدر عنها من القرارات والتوصيات عبر مؤتمراتها ودورات المجمع الفقهي الإسلامي وهيئات الرابطة ومراكزها ومكاتبها الخارجية. تفعل ذلك مع خلوص النيات، فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه؛ كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس فيه، شانه الله، فإن الله تعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصًا.
وتقتضي المسؤولية أن تفتح صدرها للجميع، بمن فيهم أولئك النفر القليل ممن اعتلَّ فهمهم أو فسد قصدهم، للاعتبار بالجانب المستفاد من جدالهم ومعارضتهم، فلعل شأنهم هو شأن من عنَاهم الشاعر قديمًا:

وإِذَا أَرادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضيلَةٍ...
طويتْ أتاحَ لها لسانَ حسودِ
لَوْلاَ اشتعَالُ النَّارِ فيما جَاوَرَتْ
ما كَانَ يُعْرَفُ طيبُ عَرْف العُودِ.

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

معالي الأمين العام

أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المشرف العام على الإعلام

أ. عادل بن زامل الحربي

مدير إدارة الشؤون الإعلامية

محمد بن بكر حمدي

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير

شاكر بن صلاح العدواني

المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠١٠٧٧

سنترال: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني: rabitamag@gmail.com

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت www.themwl.org

أخبار العالم الإسلامي www.mwl-news.net

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردمد: ١٦٩٥-١٦٥٨

مؤتمر الأزهر العالمي للسلام

4

مؤتمر للرابطة في جامعة لندن عن التسامح في الإسلام

9

المحتويات

الأمين العام متحدثاً في مؤتمر الأزهر العالمي للسلام..... ٤

رسائل (مركز الحرب الفكرية) تنطلق لمواجهة التطرف..... ٧

انعقاد الملتقى الرابع لمديري الجامعات الإسلامية الأهلية في إفريقيا..... ٨

مؤتمر للرابطة في جامعة لندن عن التسامح في الإسلام..... ٩

اتحاد مجالس الشريعة يثمن دعوة الرابطة للجاليات المسلمة..... ١٣

مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية في باكستان يحتفل باليوم العالمي للأسر..... ١٤

الأمين العام للرابطة يزور مقر السفارة السعودية بالقاهرة..... ١٥

استقبالات معالي الأمين العام..... ١٦

شرق وغرب..... ١٧

مدير مكتب الرابطة في إيطاليا: نسعى إلى تفعيل الحوار مع الآخر..... ٢٠

المحتويات

العدد:٦٠٨
رمضان ١٤٣٨ هـ - يونيو ٢٠١٧ م

رمضان في جزر سيشل

26

الصيام بين العلم والدين

36

العيسى: ٣ مراكز سعودية لمواجهة الفكر المتطرف

واس - الرياض

أكد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور محمد العيسى أن الإرهاب لا يحكمه نطاق جغرافي، مشيرا إلى أن تنظيم داعش يضم خليطا من ٤٥ ألف مقاتل وفق التقديرات المتداولة، ينتمون لأكثر من ١٠١ دولة حول العالم، بينهم ١٥٠٠ مقاتل من بلد أوروبي واحد وينحدرون من اتجاهات فكرية متعددة لها هدف واحد هو الإرهاب والتطرف عن طريق تحفيز عواطفهم.

وقال العيسى في حلقة نقاش بعنوان «جهود المملكة في محاربة الفكر المتطرف» التي ألقاها على هامش القمة العربية الإسلامية الأمريكية، «تبنت المملكة خطابا جديدا برؤية بناءة لمواجهة خطاب التطرف على الصعيد المحلي والإقليمي والعالمي لتبيان سماحة ووسطية الدين الإسلامي الحنيف، حيث أقامت أكبر مركز رقمي لرصد نشاط القاعدة وداعش، وتم من خلاله إغلاق آلاف المواقع التابعة لهما، وسعت المملكة لمكافحة الفكر المتطرف واعتراض الرسائل التي توجهها هذه التنظيمات الإرهابية ومحاربة المواقع الجديدة الوهمية التي يطلقها تنظيم داعش وتم اكتشافها أخيرا والتعامل معها بقوة وحزم».

رمضان في جزر سيشل..... ٢٦
محيي الدين رمضان النحوي الأديب ومحقق الدراسات القرآنية..... ٣٠
على ضفاف قويق..... ٣١
الصيام بين العلم والدين..... ٣٦
توحيد الصيام والأعياد والعقبات التي تحول دون ذلك..... ٣٩
فتح مكة ومظاهر عفو رسول الله ﷺ وسماحته مع أعدائه..... ٤٢
منهج القرآن الكريم في تزكية العقل ٣/٣..... ٤٧
السواك: أسرار وفوائد..... ٥٠
الكسائي علي بن حمزة عالم القراءات والنحو..... ٥٢
هل تراجع الفاتيكان عن تحريم الإجهاض؟..... ٥٥
تقنية العلاج بـ(الخلايا الجذعية)..... ٥٦
إطلاق اسم المؤسس على مصنع كسوة الكعبة..... ٦١
رمضان : حوار الذات..... ٦٤

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي متحدثاً في مؤتمر الأزهر العالمي للسلام:

إذا طغت الوحشية تبادلت مع جنس الحيوان الوصف والدور

القاهرة:

عقد الأزهر مؤتمراً عالمياً عن السلام حضره عدد من الشخصيات الدينية والفكرية حيث حفل بتنوع ديني ومذهبي وفكري عالمي، وفي إطار هذا التنوع النخبوي شارك معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى في هذا المؤتمر ضمن الكلمات الرئيسة في حفل افتتاحه، حيث أوضح في كلمته أن السلام مقصد عظيمٌ في دين الإسلام، وهو لا يتحقق بمجرد نظريات تطرح، وحواراتٍ عابرةٍ تدار من حين لآخر، تأتي في غالبها في سياق الأماني والادعاءات، فلا بد له من أثر ملموس، يسبقه عمل صادق فعّال، ولا يكون كذلك إلا بمؤهلات السلام الحقيقية، من حب الخير للإنسانية، ومن سُمُو على كلِّ معنىً من معاني استحواذ الذاتية، بطُغيان مطامعها المادية، المجردةِ من المعنى الحقيقي لاستحقاق وصف الإنسان المُمَيِّز والفارق له عن وحشية غيره.

=وتابع قائلاً: بل إن لبعض هذا الغير من سائر المخلوقات، برمجةً فطريـــةً، نحـــو بعض المعاني الإنســـانية في مجمـــوع تقاربه وتعايشـــه، يفتقدها ـ مع بالغ الأســـف ـ كثير من البشر. وإذا طغت وحشية الإنســـان أحالته إلى جنس آخر، والسوء المركب في هذا أنْ تُرْفع رايةُ حماية الســـلام العالمي ثـــم تَعْجَزَ تارة، أو تَحْضُرَ وتغيبَ في أخرى.... لا ســـلامَ إذا ازدوجت المعايير، ولا سلام وقـــد هيمنت القوة بمنطق المادية وحده، فإذا لم يَسُـــدْ حِيَادُ العدالة ضاق بالسلام المكانُ والتمس غيرَه، ولا سلام إلا بصفاء وجدان، ولا سلام إلا بتسامُح ووئام، ينبُذُ خُلُقَ الكراهية البغيض، ويغرسُ المحبة، ويحيل الأنانيَّة إلىً بذل وتضحية .

تلك عباراتٌ جميلة نشدو بها (قولاً) في محافلنا، ونُلَقّنُها أولادَنا (درســـاً نظرياً)، ونُعَبِّر بها في عالَمِنا الدولي (تأييداً أو شـــجباً)... وإنما البُعْدُ الغائب عنا!!، هل نشـــدو بها فعلاً؟، هنا المعادلة في ســـياقها الكاشـــف، وهنا تتبدل تلكم المعادلة، عندما يتبادل الإنسان مع جنس الحيوان الوصفَ والدور.

وقال د.العيســـى: إن للخالق مُدَبّر هذا الكـــون نظاماً مُحكماً، جَهلَهُ كلُّ من طغى في ماديته ووحشيته، وجَهلَهُ كلُّ من جعل السلام ســـلعة بين يديه، ومن إحْكَام هذا النظام الرباني حلولُ دائرةِ السَّـــوء على الظالم وإن استدرجته الحكمة الإلهيةُ زمناً، وقد جعل الله لكلّ شـــيءٍ قدراً. وللتاريخ شـــاهد وعظة، يأبى كثير من الناس الاتعاظَ بها، ولكن بأنفســـهم بعد أن يحصل الفوات.

وليس مِنْ معنىً يكثُر طلبُهُ وادعاؤه في أدبيات السياســـة هو أكثر شـــتاتاً وغِيَابَاً من غيره مثلُ قِيَم الســـلام، وإذا غاب سلامُ عالَمِنا بفعـــل صَلَفِ المـــادة، وذرائع همجيّتها، فهـــي تزن (عند من تنازل عن إنســـانيته وتجرد من فَطرته) تزن الســـلامَ كلَّه، بل والعالمَ بأســـره، ثم هل من وحشـــية تقابل هذه الوحشية... وجميعُ ما ســـبق لا يَحملنا على الانكفاء والتشاؤم ؛ وقد رسَّخ فينا الإسلام الأملَ والتفاؤل.

وهذا المؤتمر يجري في ســـياق اســـتدعاء هذا المعنـــى الرفيع ؛ ليُسهم من خلال الوزن الكبير لرسالته العلمية والفكرية في هذا الشأن الإنســـاني المهم، مذكراً بقيم السلام، منبهاً على

مخاطر تفويته في زمن لم يَعُدْ يحتمل المزيد من المعاناة والآلام، خاصة وقد قابل شؤمَ التطرف الإرهابي تطرفٌ مضادٌّ، وخطابُ اقصاء كاره، أنتج سطحيةَ بل مجازفةَ الإسلاموفوبيا، وحَكَمَ

• قابل شؤمَ التطرف الإرهابي تطرفٌ مضاد وخطابُ إقصاء كاره أنتج سطحية ومجازفة الإسلاموفوبيا

بمعايير عشوائيتِهِ وكراهيتِهِ على مليار وستمائة مليون مسلم، بجريرة ما نسبته تطرف واحد من بين مائتي ألف نسمة هم على هَدي الاعتدال، جاهلاً أو متجاهلاً أن للتطرف في عموم الأديان وقائعَ تاريخيةً مؤلمةً، تحضُر وتغيب في مد وجزر، من زمن لآخر .

وبيَّن أمين الرابطة: أن خطأ التشخيص، وخطأ المعالجة، يقودان لفصل تاريخيٍّ جديدٍ من الصدام الحضاريّ، وليت عالَمنا يستدعي

* تنامي العداء للإسلام والمسلمين في الغرب أدى إلى صعود الأحزاب اليمينية المتطرفة

ولو قدراً مُجْزياً لحفظ وعيه المعيشي، ليدرك أن التسليم الإيجابي بالفروق الطبيعية بين البشر مفض إلى الإيمان بسنة الخالق في الاختلاف والتنوع والتعددية، هذا الإيمان في طليعة مكونات السلام.... وتنوع هذا المحفل الكريم أنموذجٌ ماثل، على مستوى وعينا بهذه السنة الإلهية؛ ليتلَوها مثلَ هذا التلاقي والتعاون والتقارب، لخدمة الإنسانية وإسعادها.

وصواب التشخيص والمعالجة يقودنا إلى حقيقة مهمة ندرك من خلالها أن ليس للتطرف والإرهاب مدرسةٌ دينية معينة، وأن عناصره تشكلت أخيراً من مائة دولة ودولة، جنَّد منها خمساً وأربعين ألفَ مقاتل، من اتجاهات فكرية متعددة ذات هدف واحد، وعدد منهم ولد ونشأ وتعلم في بلاد غير إسلامية، وقد خرج من بلدٍ أوروبي واحدٍ ألفٌ وخمسمائةِ مقاتلٍ، التحق بلفيف الإرهاب.

وتابع معاليه: ليت عالَمنا يعي أن للسياسة دوراً مهماً في إذكاء فتيل الإرهاب، أو إطفائه؛ فسلبية دَوْرِها أحياناً وثغراتُها رهانٌ مهم في استراتيجية التطرف لتصعيد العاطفة الدينية، في نفوس أغرار سُذج، يَسهل استدراجُهم بأهازيجَ حماسيةٍ وصيحات وعظية، وقد يكون الفاعل الأول هو صاحب الثغرة، سواءٌ في ميول تطرفه المضاد؛ لنزعةٍ كراهيةٍ، أو لحساب مساجلات سياسية، وهو ما أفرز لوثة الإسلاموفوبيا، أو في تدابير مساوئ البراقماتية، التي لم تُعِرْ للعدالة بمعناها الشاملِ قيمة، وقد جعلتْ من قاصر الوَعي والنظر أهوجَ صائلاً، مشهراً سيف تطرفه الأحمق، متدثراً ـ زوراً ـ برداء الدين.

بعد أن قدم مبادرات فكرية وتواصلَ عالمياً

رسائل (مركز الحرب الفكرية) تنطلق بمشروع «عالمي» لمواجهة أيديولوجية التطرف

الرياض:

انطلقت الأحد ٣ شعبان ١٤٣٨هـ رسائل مركز الحرب الفكرية التابع لوزارة الدفاع بالمملكة العربية السعودية عبر وسائل التواصل الاجتماعي؛ شارحة أهدافه العالمية بعدة لغات هي الإنجليزية والفرنسية بالإضافة إلى العربية.

ويهدف المركز الذي يرأس مجلس أمنائه صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز، ولي ولي العهد النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع؛ إلى كشف الأخطاء والمزاعم والشبهات وأساليب الخداع التي يروج لها التطرف والإرهاب، وإيضاح المنهج الشرعي الصحيح في قضايا التطرف والإرهاب، وتقديم مبادرات فكرية للعديد من الجهات داخل المملكة وخارجها، بالإضافة إلى مبادرات فكرية للتحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب.

كما يهدف إلى الارتقاء بمستوى الوعي الصحيح للإسلام في الداخل الإسلامي وخارجه، وتحقيق المزيد من التأييد للصورة الذهنية الإيجابية عن حقيقة الإسلام عالمياً، وتحصين الشباب «حول العالم» من الفكر المتطرف عبر برامج متنوعة (وقائية وعلاجية)، وتفكيك الوسائل التي يسعى الإرهاب من خلالها لاستقطاب عناصره، وتقرير منهج الوسطية والاعتدال في الإسلام، وتقرير المفاهيم الصحيحة في قضايا عمل التطرف على تشويهها بتأويلاته الفاسدة وجرائمه البشعة.

كما شملت الأهداف التي تبناها المركز؛ تكوين فهم عميق ومؤصل لمشكلة التطرف من خلال أساليب وكوامن نزعاته، وتحديد الفئات المستهدفة من قبل الجماعات المتطرفة، وفهم الأدوات والمنهجيات التي تستخدمها الجماعات المتطرفة، والتعاون الفعال مع العديد من المؤسسات والمراكز الفكرية والإعلامية، ورسم أساليب فاعلة لتعزيز قيم الاعتدال والتسامح والحوار والتفاهم في سياق الإيمان بحتمية التنوع والتعددية بعيداً عن الأطروحات النظرية المجردة وتجاوز الأساليب النمطية في هذا السياق.

ومن ضمن الأهداف أيضاً عرض قيم ومبادئ الدين الحق بخطاب يراعي تفاوت المفاهيم والثقافات والحضارات منسجماً مع سياقه العصري، والإفادة من الدراسات والبحوث من خلال إنشاء منصات علمية وفكرية وملتقيات عالمية وكراس بحثية وأدوات استطلاع وتحليل، بالإضافة إلى الانتشار عن طريق وسائل الإعلام

والاتصال مع عقد الشراكات العالمية ومنها المراكز والمؤسسات المنوه عنها، وتنظيم المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش ولاسيما مع مراكز التأثير والاستشراف بغية تحقيق إيجابية التوسع والانتشار، وإطلاق الحملات العامة لتوجيه الرأي العام إلى إشراك المجتمعات لتعزيز هيمنة الرؤية المعتدلة.

وجاء في التعريف بالمركز بأنه يشتمل على مجلس أمناء برئاسة سمو وزير الدفاع بالمملكة العربية السعودية، ويعمل به خبراء متخصصون من داخل المملكة وخارجها بحكم عالمية أهداف المركز، وأنه متنوع المحتوى والخطاب ليشمل كافة الفئات المشمولة برسائله.

جدير بالذكر أن المركز كان له إسهامات سابقة عبر العديد من المشاركات العالمية ذات الصلة بمهامه، حيث قدم مجموعة من المبادرات الفكرية وتواصلَ مع مراكز الفكر والتأثير حول العالم، وشرع إلكترونياً في بث رسائله المركزة لمحاربة الفكر المتطرف الذي يعتمده الإرهاب كقاعدة لتضليل مستهدفيه من جميع دول العالم، حيث استطاع استقطاب عدد من المغرر بهم من أكثر من مائة دولة، بمن فيهم أشخاص ولدوا ونشأوا وتعلموا في دول غير إسلامية، متأثرين برسائل التطرف الإرهابي التي يتواصل بها إلكترونياً في ظل فراغ من الدخول في تفاصيل عدد منها، وخاصة ما كان متركزاً على إثارة العاطفة الدينية، أو الفراغ في مستوى كفاءة المادة، وهو ما جعلها أقل تأثيراً.

مركز سوداني للرعاية والتحصين الفكري من التطرف والإرهاب

الخرطوم: د. محمد خليفة صديق

أبرز المؤسسات السودانية التي تعمل في مجال مكافحة الغلو والتطرف وتأهيل من وقعوا في براثن الغلو والإرهاب هو المجلس الأعلى للرعاية والتحصين الفكري. يعمل المجلس تحت رعاية رئيس جمهورية السودان عمر البشير. ويتبع له أيضا مركز أبحاث الرعاية والتحصين الفكري الذى ينشط في محاورة المتهمين على ذمة قضايا إرهاب وغلو وتطرف.

ويقوم بالحوار مع الشباب المتورطين في قضايا الإرهاب والتطرف علماء متخصصون يدحضون شبهات الغلو والتطرف لديهم. وقد ذكر الأمين العام لمركز أبحاث الرعاية والتحصين الفكري بروفسير إبراهيم نورين أن ٩٠ في المئة من الذين تمت محاورتهم عادوا إلى حياتهم الطبيعية. كما أن مركز أبحاث الرعاية والتحصين الفكري ينسق مع الأجهزة العدلية والأمنية على تنظيم برامج الحوار ومحاورة كل الموقوفين في قضايا الإرهاب والتطرف قبل تقديمهم إلى المحاكمة. باستثناء المتورطين في قضايا جنائية أو قضايا الحق العام.

ونشأ المجلس الأعلى للرعاية والتحصين الفكري بموجب مرسوم قبل عامين. أي في عام ٢٠١٥م ويعتبر الجهة المرجعية لأعمال المركز. ويسير المجلس وفق رؤية محددة هي: نحو مجتمع مؤمن وسطيٍّ واعٍ. ورسالة هي: ربط المجتمع بالمنهج الرباني الوسطي الذي جاء به الإسلام. إنفاذاً للاستراتيجية الوطنية للرعاية والتحصين الفكري. ووضع المركز لنفسه أهدافاً منها تأطير وتأصيل القضايا والتحديات المعاصرة عبر الدراسات والبحوث العلمية. وربط المجتمع بالمنهج الرباني الوسطي الذي جاء به الإسلام. وبناء وتعزيز القدرات الفكرية لدى قيادات العمل الدعوي. وتطوير الاستفادة من الوسائط الإعلامية والتقانة المعاصرة في تقوية الخطاب الإسلامي المتسامح وتوسعة دائرة تأثيره.

ومن أبرز أهداف المركز معالجة مشكلات التطرف والغلو والتأسيس لمنهج وسطي معتدل في التعاطي مع التحديات والقضايا المعاصرة. وتنفيذ برامج دعوية وأنشطة فكرية تستوعب طاقات الشباب وتساعد في تنمية ملكاتهم الفكرية والنقدية.

ومن الاختصاصات التي ندب المركز نفسه لها: إعداد الدراسات والبحوث ووضع الخطط العلمية وإجازتها وإقامة المحاضرات التي تعزز قدرات الجهات المختصة في مجابهة الأفكار والمعتقدات المتطرفة. والإشراف العلمي على الباحثين وأعمال المركز وإعداد البحوث والدراسات الرامية للوقاية والتحصين الفكري للمجتمع. ودراسة أسباب الانحراف الفكري واقتراح المعالجات المناسبة لحماية المجتمع وأفراد المجتمع. وتنظيم المؤتمرات والندوات وحلقات العمل في مجال التحصين والرعاية الفكرية. وتوفير المعلومات والبيانات البحثية الميدانية التي من شأنها مساعدة الجهات المختصة في اتخاذ القرارات اللازمة لحماية المجتمع من الانحرافات الفكرية. وتزويد الأجهزة الإعلامية المختصة بالأعمال العلمية الرامية للتحصين الفكري للمجتمع.

وقد أنجز المركز خلال الفترة الماضية ملتقى للأئمة والدعاة. وأوصى ذلك الملتقى بمراجعة وتطوير مادة الثقافة الإسلامية في مؤسسات التعليم العام والعالي بشقيه الحكومي والأهلي. لتخدم وتواكب معالجة القضايا والتحديات المعاصرة ورعايتها للقيم اللازمة لبناء المجتمع الرباني المتجانس. وضرورة تأهيل الدعاة على القدرة المستمرة على التجديد والتطوير والمواكبة. والإلمام بالقضايا المهمة بالقدر المناسب. وتحفيز الدعاة على الممارسة الاجتماعية التي تجعل التواصل بين المدارس الدعوية المختلفة أمراً سهلاً. يرتفع عن المجاملة والتكلف. ويخدم التوافق والتعاون. ومعالجة (خمول الدعاة). مما لا يترك مساحة لغير المؤهلين بالعلم الشرعي. كما طالب ذلك الملتقى مركز الرعاية والتحصين الفكري بتقديم دراسات إحصائية واستبانات ودراسات تحليلية تبنى عليها الحلول. ويتوصل بها إلى معرفة مواطن الانحراف والخلل في الخطاب الدعوي المعاصر.

ويستعد مركز الرعاية والتحصين الفكري في السودان بتطوير قدراته خلال الفترة القادمة. التي ستشهد عودة الكثير ممن وقعوا في حبائل التطرف والغلو بعد هزيمة التنظيمات المتطرفة في ليبيا وسوريا والعراق ومالي والصومال وغيرها. ويعمل على ألا يقتصر عمله في التعاطي مع أفكار التطرف والغلو فقط. وأن يتصدى لرصد الممارسات السالبة في المجتمع. خاصة ممارسات الدجل والشعوذة والسحر وادعاء علم الغيب. وأن يسعى لتنفيذ حكم الشرع في كل من يمارس مثل هذه الضلالات. والتي لا يقل ضررها عن ممارسات الغلو والتطرف. فكم من أسر تفككت. وكم من دماء سالت. وكم تعرض أناس لأمراض صعبة. ومشكلات لا حصر لها بسبب هذه الممارسات الضارة بالمجتمع وتماسكه.

وكان البروفسور إبراهيم نورين الأمين العام لمركز أبحاث الرعاية والتحصين الفكري قد شارك ببحث له بعنوان : دور الحوار الديني في مواجهة الإرهاب. ضمن الندوة التي عقدتها رابطة العالم الإسلامي في الخرطوم بالتعاون مع وزارة الإرشاد السودانية. قال فيه إنّ الانحراف الفكري هو السبب الأول فيما تواجهه الأمة الإسلامية والعالم أجمع من زعزعة للأمن. وترويع للمواطنين. وسفكٍ لدماء الأبرياء. وتشويه لصورة الإسلام عند غَير المسلمين. مشيراً إلى أن أساس علاج الانحراف الفكري هو مقابلته بالفكر القويم. مبيناً أنّ الفكر لا يُقارع إلا بالفكر.

مؤتمر للرابطة في جامعة لندن عن التسامح في الإسلام

المؤتمرون يتبنون دعوة الجاليات الإسلامية إلى المطالبة بخصوصياتها الدينية بالأساليب السلمية والقانونية

لندن:

اختتم في العاصمة لندن مؤتمر «التسامح في الإسلام» الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي في جامعة لندن، بحضور قيادات كبيرة من الجالية الإسلامية في أوروبا ، بينهم علماء ودعاة ومفكرون وعدد من السياسيين والمفكرين الغربيين من داخل المملكة المتحدة وخارجها.

وفي افتتاح المؤتمر تحدث البروفيسور محمد عبدالحليم في جامعة لندن رئيس كرسي الملك فهد للدراسات الإفريقية والشرق أوسطية عضو مجلس أمناء أكاديمية الملك فهد في لندن، حيث رحب بالمشاركين مؤكداً أن استضافة الجامعة لهذا المؤتمر بالمشاركة مع رابطة العالم الإسلامي تأتي للتأكيد على سماحة الإسلام وقيم الرحمة والعدل التي جاء بها.

وعبر د.عبدالحليم عن شكره لرابطة العالم الإسلامي على عقدها هذا المؤتمر، متمنياً أن ترتقي مخرجاته لطموح الجاليات المسلمة بشكل عام والجالية المسلمة في بريطانيا على وجه الخصوص.

بعد ذلك ألقى معالي الأمين العام للرابطة الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى كلمة أكد فيها حرص الرابطة على إشاعة ثقافة السلام والتسامح؛ والحوار البناء للتفاهم بين المكونات المختلفة، مشيراً إلى المنهج الوسطي المعتدل الذي تنتهجه، قائلاً إن التسامح من قيم الإسلام الرفيعة التي حفلت بها العديد من النصوص الشرعية كما حفلت بها مشاهد السيرة النبوية باعتبارها في طليعة القيم الأخلاقية التي حث عليها الإسلام في مجالات الحياة كافة.

وأكد د.العيسى أن تلك القيم السامية تتعارض مع منهج

التطرف القائم على التشدد والتحريض والمواجهة، وحمل النصوص على تأويلات باطلة سعى من خلالها لتحريف معانيها الصحيحة، شارحاً بأن توصيف التطرف يوحي غالباً بطبيعة سلوكية منحرفة؛ فالمتطرف غير متسامح وسريع التأثر والانجرار، يتبرمج سريعاً بالعقل الجمعي الذي أثر فيه سلباً، فاقد الطبيعة المعتدلة فهو على أحد طرفي النقيض، وما دام كذلك فهو أبعد ما يكون عن التسامح الذي يمثل منطقة الاعتدال في السلوك، وإذا كان كذلك كان مجافياً للحكمة والصواب، وهذه الطبيعة تفرز سلوك المواجهة والحدة.

وأضاف أن المتابع لن يجد المتطرف مغلباً منطق الصفح والعفو أو التماس الأعذار و حسن الظن، ولن يجده حسن الخلق عفيف اللسان، ولا قابلاً بالمسالمة والمصالحة والتنازل لتحقيق المصلحة الأكبر التي لا ينظر إليها فقهه الضيق. وزاد العيسى في كلمته أن المتطرف لا يعرف فقه الأولويات والموازنات (فقه الترجيح بين المصالح والمفاسد)، ولا فقه مقاصد الشريعة وتغير الفتاوى والأحكام عند الاقتضاء والإمكان بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والعادات والنيات والأشخاص، وستجده مكابراً للأدلة والحقائق ومكبراً للصغائر منتهكاً للكبائر وفي طليعتها إثارة الفرقة والفتنة فضلاً عن التكفير واستباحة الدماء، كما أنه أبعد ما يكون عن فقه الائتلاف والتسديد والمقاربة، وأبعد ما يكون كذلك عن الرفق والتيسير على الناس والتبشير بالخير.

وأشار معاليه إلى أن كل هذه المعاني العظيمة لن نجدها إلا في الوعي الشرعي، هذا الوعي الذي هذَّب السلوك، وولَّد الحكمة، وأنتج العالِم العالَمي في سياق عالمية دينه، مؤكداً أن غياب المادة الوقائية والمسوحات الاستطلاعية المتقدمة للحركات محل الملاحظة مهم للغاية في تلافي استفحالها، لكن لنسأل أنفسنا ماذا يعدنا القادم مع الإرهاب.

وقال معاليه إن القادم والعلم عند الله رهن بالهزيمة الفكرية للإرهاب، فالكيان الإرهابي قام على أيديولوجية متطرفة وليس على كيان عسكري ولا قوة سياسية غالبة، واستطاع أن يتمدد في جميع دول العالم وأن يستقطب أتباعاً من مائة دولة ودولة وأن يؤثر في بعض العقول مستغلاً كل فرصة متاحة له.

وتابع معاليه لن تجد خطاب التطرف يذكرك بقول الله تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»، ولا بقول الله تعالى: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك»، ولا بقول الله تعالى: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين»، ولن تجده يذكرك بقول الله تعالى:

«وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين»، ولا بقول الله تعالى: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجالدهم بالتي هي أحسن»، ولا بقوله تعالى: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»، ولا بقوله سبحانه: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾، ولا بقوله تعالى: «وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» ولا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا»، ولا بقوله: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» لن تجد هذه النصوص في أحاديثه لكون منهجه الفاسد قد سلك مسلكاً آخر غير هديها المتسامح الحكيم، وله مع هذه النصوص مكابرات ضالة تشهد بمستوى وقوع التطرف في مستنقع الجهل والضلال والحماسة الهوجاء.

بعد ذلك شرع المشاركون من أهل العلم والدعوة من قادة العمل العُلَمائي والدعوي والفكري في عدد من الدول الإسلامية من حضور المؤتمر وقيادات المراكز والمكاتب الإسلامية في المملكة المتحدة؛ في مناقشة محاور المؤتمر حيث انتهى المؤتمرون في بيانهم الختامي إلى الإشادة بما قدمه المسلمون في المملكة المتحدة من جهود في التعريف بحقيقة الإسلام، وتقدير إسهاماتهم الحضارية؛ وتواصلهم الإيجابي مع الجميع.

ودعا البيان إلى نشر ثقافة استيعاب الآخرين من خلال الإيمان بسنة الاختلاف بين الناس، مع تعزيز مفاهيم التواصل الإيجابي بين أتباع الأديان والثقافات لخدمة العمل الإنساني وصيانة كرامة الإنسان وحفظ حقوقه.

كما دعا البيان المكونات المختلفة للمجتمع ببذل الجهود الحثيثة لتعزيز المواطنة، وتعميق الحوار البناء بينهم، والعمل على استدامة الروح الإيجابية التي كان عليها المسلمون طوال القرون الماضية في حسن التعامل مع

الآخرين والتعايش معهم، وترسيخ القيم الإنسانية المشتركة، والتضامن في حماية المصالح الوطنية العامة، وتذليل الصعوبات التي تعوق التعايش السعيد الآمن.

وطالب البيان باحترام الشعارات والرموز والتقاليد والأعراف والثقافات الوطنية، ومنها التحية والنشيد والسلام والبروتوكول الوطني، وفق أولويات فقه المواطنة بعامة وفقه الجاليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية بخاصة، وعلى التسليم بما قد يراه البعض من وجهة نظره من تحفظ على بعض سياقاتها، داعياً المسلم إلى أن: «يَعمل في هذا بقاعدة الترتيب بين المصالح والمفاسد في إطار قاعدة الأولويات والموازنات، فقد يترتب على الممانعة ضرر أعظم من أصل الحكم الذي يراه، ما دام لا ينقل المسلم عن ملة الإسلام بإجماع المسلمين، ولتأليف القلوب ودفع الشكوك وتبعات الممانعة ذات الصلة بالولاء الوطني اعتبارات مهمة لها وزنها في تراتيب أحكام الشريعة، وإذا عمد المسلم إلى ارتكاب مفسدة أكبر لدفع مفسدة أقل فقد أخل بقاعدة

الشريعة، هذا على فرض التسليم ـ جدلاً ـ بصحة ما يراه من تحفظ نحو ما يحسبه نحو المفسدة الأقل».

كما طالب بكشف فساد التأويلات الباطلة لعقيدة الولاء والبراء التي تُعتبر إحدى أهم ركائز التطرف الإرهابي، حيث تجاوزت التصديق بالإيمان الصحيح والولاء له بجميع معانيه، والبراءة اعتقاداً مما سواه، مضيفاً أن «هذا الإيمان لا يعني أن أحقد أو أجهل أو أسيء أو أظلم من يخالفني في

• د.العيسى: القيم السامية تتعارض مع منهج التطرف القائم على التشدد والتحريض والمواجهة

قناعتي الاعتقادية فالمقابل لي في المعتقد يرى ذلك تماماً بالنسبة له ولاء وبراء وفي جميع الأديان، ولولا ذلك لكان الناس جميعاً على دين ومعتقد وقناعة واحدة، وكل هذا لا علاقة له بما يجب على الجميع من التسامح والتعايش والعدل والبر والإحسان والرحمة، والتعاون على الخير وإسعاد البشرية».

وزاد البيان أن هناك نصوص إسلامية ووقائع تاريخية من السيرة النبوية دلت على ذلك صراحة كما في آية سروة الممتحنة وغيرها التي تُترجم أفق الإسلام الرفيع الذي جاء كما على لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ليتم مكارم الأخلاق، وليس من مكارم الأخلاق ما يمارسه التطرف الإرهابي اليوم منسوباً زوراً للإسلام فالإسلام نموذج في الصدق والأمانة والتسامح والرحمة والتعايش والبر والإحسان والعدل مع الجميع مسلمين وغير مسلمين.

وتبنى المؤتمر الدعوة إلى العمل على ترسيخ القيم الأخلاقية النبيلة وتشجيع الممارسات الاجتماعية السامية، وضرورة التعاون في التصدي للتحديات الأخلاقية والبيئية والأسرية.

• المطالبة بنشر ثقافة استيعاب الآخرين من خلال الإيمان بسنة الاختلاف بين الناس

وتعزيز التعاون في إيجاد تنمية مستدامة يسعد بها الجميع.

كما ندد المؤتمر بظاهرة «الإسلاموفوبيا»، باعتبارها وليدة عدم المعرفة بحقيقة الإسلام وإبداعه الحضاري وغاياته السامية، والدعوة إلى الموضوعية والتخلص من الأفكار المسبقة والتعرف على الإسلام من خلال أصوله ومبادئه لا من خلال ما يرتكبه المنتحلون من شناعات ينسبونها زوراً إلى الإسلام.

ودعا المؤتمرون المؤسسات الدينية والتعليمية إلى إشاعة ثقافة التعاون والتفاهم، وتعزيز القيم الدينية التي ترسخ التسامح والتعايش الإيجابي.

كما دعا المؤتمر الجاليات الإسلامية في البلدان غير الإسلامية إلى المطالبة بخصوصياتها الدينية بالأساليب السلمية والقانونية ومنها الحجاب والذبح الحلال والمدارس الإسلامية واعتماد عطلات الأعياد الإسلامية، والحذر من الانجرار خلف مهيجي العاطفة الدينية بالتمرد على قرارات تلك البلدان، وأنه لا يسع من لم يسعه البقاء إلا مغادرتها وأرض الله واسعة كما في آية سورة النساء، وأن يكون الجميع على حذر من اختراق الأفكار المتطرفة لاعتدالهم الديني ووعيهم الوطني.

وأكد البيان على الحاجة إلى التعاون على كل ما هو خير للإنسانية، وإلى تكوين حلف كوني لإصلاح الخلل الحضاري الذي يُعتبر الإرهابُ فرعا من فروعه ونتيجة من نتائجه، مؤكدين أن الأصل هو التعاون بين الناس كافة باعتبار وحدة الأصل والخلق.

وثمن المؤتمرون الجهود التي تبذلها المملكة العربية السعودية في إيضاح حقيقة الإسلام وتمثيل وسطيته ومواجهة الأفكار المتطرفة مقدرين انطلاقة مركز الحرب الفكرية لاعتراض رسائل التطرف والإرهاب وكشف شبهاتها ومزاعمها وأوهامها.

وأشاد المشاركون بجهود رابطة العالم الإسلامي، وشكروها على عقد المؤتمر، وأثنوا على جهودها في خدمة الإسلام والمسلمين حول العالم، وتقديم العون لهم وتوعيتهم واعتراض الرسائل المتطرفة من أن تصل إليهم، وثمنوا عالياً النصائح الشرعية التي أسدتها للجاليات الإسلامية مع دعمها الكبير لمطالبهم بما تحظى به الرابطة وفق رؤيتها الجديدة من ثقة وثقل أوصلتها إليها حكمتها وبصيرتها الشرعية.

كما نوهوا بالدعم المقدم من جامعة لندن لتسهيل عقد المؤتمر فيها مترجماً تقدير الرابطة والجالية الإسلامية والحضور العُلمائي والدعوي والفكري وعاكساً من جانب آخر أنموذجاً حضارياً للتعايش والتواصل الإيجابي، وما يحمله ذلك التقدير الأكاديمي في بُعده العريق من اهتمام وحفاوة.

حضر المؤتمر عدد كبير من السياسيين والمفكرين الغربيين من داخل المملكة المتحدة وخارجها وقد أسهموا في حلقات نقاشه وحواره على مدى جلسات المؤتمر.

اتحاد مجالس الشريعة يثمن دعوة رابطة العالم الإسلامي للجاليات المسلمة سلوك المسارات القانونية لنيل الخصوصية الدينية

لندن:

عقد اتحاد مجالس الشريعة في المملكة المتحدة اجتماعه السادس في مقر المركز الثقافي الإسلامي في لندن؛ مستضيفاً معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى بحضور عدد من العلماء والأئمة وأعضاء الاتحاد ومثلي ١٦ مجلساً للشريعة من مختلف المدن البريطانية.

وقد افتتح الاتحاد جلسته بالترحيب بمعالي الأمين العام، مشيداً بالدور العالمي لرابطة العالم الإسلامي في خدمة العالم الإسلامي والتعريف بالإسلام ومبادئه السمحة والاهتمام بشؤون الجاليات الإسلامية.

ثم عرض رئيس الاتحاد الدكتور أحمد الدبيان أمام معاليه أهم أهداف الاتحاد وأبرز الصعوبات التي يواجهها في مجال التحكيم وقضايا الجاليات وما يرد إلى المجالس من طلبات وشكاوى.

وقد ألقى معالي الأمين العام كلمة حث فيها مجالس الشريعة في المملكة المتحدة على الاتفاق بينها وتوحيد وجهات النظر وتقديم مصلحة اجتماع الجاليات المسلمة على المصالح الخاصة، وأكد أن قيادات المجلس على هذا القدر الكبير من المسؤولية وإنما هو التذكير لإخواننا.

وبين معالي الأمين العام أن الاتفاق بين المجالس في هذا الاتحاد هو السبيل الأمثل لتكوين مرجعية وإيجاد نظام موحد لها يلتزم به الجميع وتستفيد منه المجتمعات الإسلامية في المملكة المتحدة ، مؤكداً أهمية أن تكون جوانبه الإجرائية وفق القانون.

كما أبدى معاليه استعداد الرابطة للتعاون مع اتحاد المجالس الشرعية في سبيل خدمة أهدافه النبيلة.

بدوره ذكر نائب رئيس الاتحاد المحامي ميزان عبد الرؤوف أن اللقاء مع معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي كان لقاء مميزا وقد أعطى جميع الأعضاء دفعة مباركة كما كان لتوجيهات معاليه أثر بالغ لدى الأعضاء.

وأضاف أن الاتحاد وأعضاءه يثمنون دعوة معالي الأمين العام لجميع الجاليات الإسلامية في البلدان غير الإسلامية إلى التزام القوانين في بلدانهم لأن ذلك يعتبر من أكبر الدعم الذي سيؤدي بإذن الله إلى انخفاض نسبة المشكلات التي يواجهها المسلمون في الغرب، كما أن هذا الالتزام من شأنه أن يعين مجالس الشريعة في أداء رسالتها ويفيد كثيرا في التعريف الصحيح بالدين الحنيف وتقديم صورة عملية لآدابه وأخلاقه السمحة.

مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية في باكستان يحتفل باليوم العالمي للأسر

إسلام آباد:

احتفل المكتب الإقليمي لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية برابطة العالم الإسلامي في باكستان باليوم العالمي للأسرة، الذي يصادف الخامس عشر من مايو، وذلك من خلال إقامة مؤتمر صحفي وندوة في إسلام آباد بحضور عدد من المسؤولين الباكستانيين والنشطاء الاجتماعيين ووجهاء المجتمع.

وأوضح المدير الإقليمي لمكتب رابطة العالم الإسلامي ومكتب هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في باكستان الدكتور عبده بن محمد عتين في كلمة بهذه المناسبة أن أهمية الاحتفال باليوم العالمي للأسرة تكمن في تذكير المجتمع بأن الأسرة

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي يزور مقر السفارة السعودية بالقاهرة

القاهرة:
زار معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، مقر سفارة خادم الحرمين الشريفين في العاصمة المصرية القاهرة.
وكان في استقبال معاليه، سفير خادم الحرمين الشريفين لدى مصر مندوب المملكة الدائم لدى جامعة الدول العربية، عميد السلك الدبلوماسي العربي، أحمد عبد العزيز قطان، وعدد من أعضاء السفارة.
واستمع معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي من معالي السفير قطان لشرح موجز عن المبنى وما يضمه من الملحقيات والمكاتب والأقسام، حيث أثنى على ما تقوم به السفارة من المهام والواجبات على الوجه المطلوب بما يحقق تطلعات القيادة الرشيدة.
وبهذه المناسبة أقام معالي السفير أحمد بن عبد العزيز قطان، بمنزله مأدبة غداء تكريمًا لمعالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى الذي زار القاهرة للمشاركة في مؤتمر الأزهر العالمي للسلام.
حضر مأدبة الغداء معالي الأمين العام لمركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، الأستاذ فيصل بن عبد الرحمن بن معمر، ومديرو المكاتب ورؤساء الأقسام بسفارة خادم الحرمين الشريفين بالقاهرة.

هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع وهي بداية الإصلاح وأساس البناء الوطني والعطاء وعماد التنمية المستدامة.
وأضاف أن الدين الإسلامي الحنيف يحثنا على إقامة الأسرة بكيان متماسك للخروج بمجتمع ناجح، مشيراً إلى أن مشكلة الثقافات الأخرى وخاصة الغربية تكمن في فقدانها للنظام الأسري المترابط ، مما جعلها تعاني من مشاكل اجتماعية جمّة على الرغم من التنمية والتطور الذي حققته تلك المجتمعات.
وأشار إلى أنه على الرغم من الترابط الأسري السائد في مجتمعاتنا الإسلامية، إلا أن هناك ظاهرة خطيرة بدأت تهدد هذا التماسك وهي عدم الاهتمام بالوالدين عند الكبر وإرسالهما إلى دور العجزة.
وأضاف أن هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية كواحدة من المنظمات العالمية الإغاثية تحتفل كل عام باليوم العالمي للأسرة منذ اعتماد ذلك من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى جانب الجهود الإنسانية والإغاثية التي تقدمها في جمهورية باكستان الإسلامية.
من جانبه ثمن الناشط الاجتماعي القيادي في الحزب الحاكم الباكستاني حزب الرابطة الإسلامية الدكتور جمال ناصر جهود هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، وتفانيها في أداء دورها الفعال في تدعيم قيم المجتمع، جنباً إلى جنب مع الدعم الذي تقدمه للمتضررين والمحتاجين في باكستان.

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي يستقبل القنصل الأمريكي بالمملكة

استقبل معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى في مكتبه بجدة القنصل الأمريكي بالمملكة ماتياس ميتمان .

وتناول اللقاء استعراض عدد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

سمو سفير خادم الحرمين الشريفين لدى المملكة المتحدة يستقبل الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

استقبل صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نواف بن عبد العزيز سفير خادم الحرمين الشريفين لدى المملكة المتحدة في مقر السفارة بلندن معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى.

وأشاد سموه خلال اللقاء بالدور المهم الذي يضطلع به العلماء المسلمين في نشر رسالة التسامح والقيم الإسلامية الصحيحة في أنحاء العالم. ودورهم الفاعل في مواجهة التطرف والعنف الذي يهدد المجتمعات الآمنة. وشكر معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي سمو السفير على اللقاء ، معرباً عن تقديره للجهود الكبيرة التي يبذلها سموه في خدمة الإسلام والمسلمين.

إعداد : أسامة بامعلم

أعداد المسلمين تضاعفت ٤ مرات في بريطانيا

(إينا) –

كشفت دراسة أكاديمية حديثة، أن أعداد المسلمين تضاعفت أربع مرات في بريطانيا على مدار الثلاثين عاما الماضية.

وبينت الدراسة أن ٤٨,٦ بالمئة من سكان بريطانيا، «لا دينيين»، لافتة إلى تضاعف عدد المسلمين والهندوس أربع مرات، في الفترة بين ١٩٨٣و ٢٠١٥.

وأوضحت الدراسة، التي أجرتها جامعة «سانت ماري» اللندنية، أن منطقة جنوب شرق بريطانيا، وأسكتلندا (إحدى دول المملكة المتحدة)، تضمان أكبر عدد من البريطانيين اللادينيين.

وذكرت الدراسة، أن المتحولين من الطائفة الأنجليكانية (الكنيسة الرئيسة)، إلى «لا دينيين» شكلوا ١٧,١ ٪.

وأوضحت صحيفة الجارديان في تقرير لها، الأحد ١٤ مايو ٢٠١٧، أنه خلال الفترة من ١٩٨٣ إلى ٢٠١٥، انخفضت نسبة المسيحيين من ٥٥٪ إلى ٤٣٪، ونوهت إلى أن نسبة المسلمين والهندوس تضاعفت أربع مرات، خلال الفترة نفسها.

ويعد وسط العاصمة لندن أحد أكثر المناطق تدينًا في المملكة المتحدة، بسبب ارتفاع عدد المهاجرين واللاجئين المسلمين تحديدًا، الذين فروا من بلادهم. وتصل نسبة المسلمين في لندن ١٣٪ من ٨ ملايين نسمة، هي إجمالي عدد سكان العاصمة، في حين تصل نسبة المسلمين الكلية في المملكة المتحدة ٤٪ (٣ ملايين)، وفق إحصاء المكتب الوطني ٢٠١٦.

وأوضح الإحصاء: أن عدد سكان بريطانيا الإجمالي يبلغ نحو ٦٥ مليون نسمة. وأفاد مركز «بيو» الأمريكي للأبحاث، في إبريل المنصرم: بأن الدين الإسلامي سيكون الأكثر انتشارًا في العالم بحلول عام ٢٠٧٥.

مساجد مدينة نيم الفرنسية تفتح أبوابها لغير المسلمين

(إينا) -

قررت مساجد في مدينة نيم، جنوب شرق فرنسا، فتح أبوابها لغير المسلمين من أجل التعريف بالدين الإسلامي، وفق ما نشر موقع «أوبجكتيف غارد».

وأعلن اتحاد مساجد منطقة لوغار، الذي تأسس السنة الماضية من أجل إدارة المساجد والجمعيات الإسلامية بالمنطقة، فتح أبواب قرابة ١٠ مساجد بغية مد جسور التواصل بين الفرنسيين المسلمين وغير المسلمين.

وقال نور الدين الصديق، مدير اتحاد المساجد: «نفتح أبوابنا لاستقبال الآخرين، والترويج لعاداتنا والإجابة عن أسئلة المواطنين»، مضيفا: «سنخصص طيلة اليوم للحوار والنقاش وتبادل الآراء حول الإسلام».

وأشار إلى أن التظاهرة ستشمل تنظيم زيارة إلى كافة مرافق المساجد والجمعيات، ومعرضاً عن مبادئ الإسلام وقيمه سعيا من المسؤولين إلى تبديد الأفكار النمطية المنتشرة عن المسلمين وسط المجتمع الفرنسي.

وأضاف: «نود بيان أهمية المساجد، ومدى ترابط الديانات، وتضمّن كتاب القرآن الكريم لأسماء الأنبياء عيسى وموسى عليهم صلوات الله وسلامه».

وأوضح أنه بالنظر إلى استمرار جرائم الكراهية ضد المسلمين في فرنسا، سيساهم هذا اليوم المفتوح في تفسير الدين الإسلامي من منظور المسلمين الحقيقيين. كما عبر عن أمله في رؤية كل أفراد المجتمع الفرنسي بفئاته المختلفة في المساجد.

وإضافة إلى ذلك، سيقدم نورالدين الصديق عرضا عن كتاب القرآن والأحاديث النبوية، والتقويم الهجري، والوضوء، والأعياد الدينية، إلى جانب الحديث عن أركان الإسلام المتمثلة في الشهادتين، والصلاة، والصيام، والزكاة والحج إلى بيت الله. كما سيتطرق قادة المساجد إلى المشاريع الاجتماعية التي تشرف عليها كتوزيع الوجبات على اللاجئين والمشردين.

وبالنظر لأهمية ركن الزكاة في الدين الإسلامي، ستتبرع الجالية الفرنسية بمبالغ مالية للمحتاجين خلال شهر رمضان، بحسب الصديق الذي أكد أن الجالية المسلمة في فرنسا تستعد لصيام شهر رمضان في جو من الألفة والتقاسم والحرص على مساعدة الضعفاء.

وكان المرصد الوطني لمكافحة ظاهرة الإسلاموفوبيا، التابع للمجلس الفرنسي للديانة الإسلامية، أعلن أن الأعمال المعادية للإسلام لعام ٢٠١٦ شهدت انخفاضا مقارنة بعام ٢٠١٥، إذ سجل ما بين شهري يناير وسبتمبر ٢٠١٦ حوالي ١٤٩ عملا معاديا للإسلام مقارنة بـ ٣٢٣ عملا في عام ٢٠١٥.

اختيار مدينة سنار عاصمة للثقافة الإسلامية

الخرطوم (إينا) –

جاء اختيار المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) لمدينة سنار السودانية كعاصمة للثقافة الإسلامية ليوقظ ذكريات عظيمة وعميقة لدور حافل ومهم قامت به مدينة سنار عندما كانت عاصمة للسلطنة الزرقاء على مدى أكثر من ثلاثة قرون من الزمان.

فمنذ قيام السلطنة الزرقاء أو دولة الفونج أو الدولة السنارية كانت سنار منطلق الإشعاع الثقافي الذي تفاعل مع العالم المحيط تأثيراً وتأثراً.

فالدولة السنارية هي في حد ذاتها إعجاز في التكوين، وما زال نموذجها طموحا يتطلع إليه كثير من القادة لتحقيق التوافق اللا مركزي القائم على التراضي، مما مكن لنهضة ثقافية ساهمت من جانبها في تماسك النسيج الاجتماعي السوداني، وهو تماسك ما زال قائما حتى اليوم، رغم مضي أكثر من قرنين على انهيار الدولة السنارية.

وتعود نشأة وقيام السلطنة الزرقاء إلى تحالف بين الفونج من مناطق النيل الأزرق بقيادة عمارة دنقس والعرب في وسط وشمال السودان بقيادة عبدالله جماع، إذ أرسى هذا التحالف قيام الدولة السنارية في عام ١٥٠٤م ليمتد حتى عام ١٨٢١م ليشكل أكبر مملكة إسلامية بعد انهيار الوجود الإسلامي والعربي في الأندلس.

ونجحت الدولة السنارية في القضاء على ممالك مسيحية مثل مملكة علوة التي كانت تمتد من شمال السودان حتى أواسط الخرطوم وكانت عاصمتها سوبا، ورسخ هذا النجاح لوجود إسلامي فرض ثقافته من خلال حكم لامركزي.

وتعتبر مملكة سنار أول دولة عربية إسلامية قامت في السودان بعد

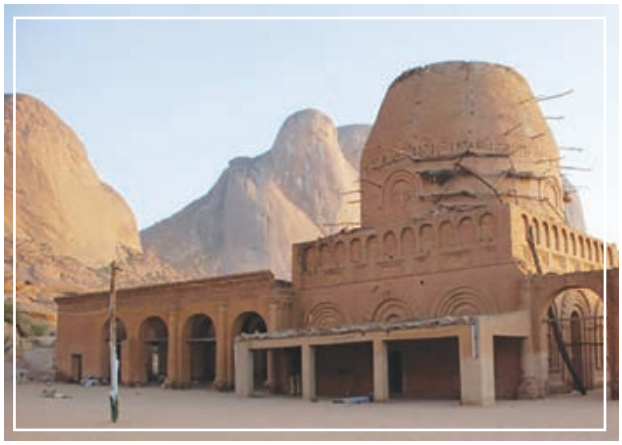

انتشار الإسلام واللغة العربية فيه نتيجة لتزايد الوجود العربي، والتصاهر بين العرب والنوبة في الشمال. واهتم ملوك سنار بالعلم حيث أقاموا «رواق السنارية» في الأزهر بالقاهرة من أجل طلاب مملكة سنار المبتعثين إلى هناك، وشجعوا هجرة علماء الدين الإسلامي إلى السودان للدعوة ونشر العلم. وأنشأ أحد سلاطين مملكة سنار ويدعى بادي الأحمر وقفا بالمدينة المنورة لاستقبال الزوار من مملكته للإقامة هناك عند زيارتهم للأراضي المقدسة ولا يزال جزء من أوقاف السودان هناك، وانتشرت أيضا الخلاوي التي تعرف أيضا بـ «الكتاتيب» في السودان لتحفيظ القرآن الكريم وعلوم العربية والحساب.

وقد تواصل السودان السناري مع المغرب العربي والمشرق، حيث زار السودان علماء وأئمة أجلاء ساهموا في النهضة الثقافية التي نحتفي في هذا العام بسنار عاصمة لها.

حملة إدنبرة تحت شعار مدينة خالية من الإسلاموفوبيا

القاهرة (إينا) ــــ

ثمن مرصد الإسلاموفوبيا التابع لدار الإفتاء المصرية الحملة الدعائية، التي أطلقتها بلدية مدينة إدنبرة عاصمة أسكتلندا، لمواجهة ظاهرة «الإسلاموفوبيا»، وتعليق لافتات كبيرة في الشوارع الرئيسية بالمدينة، تحمل شعار «مدينة خالية من الإسلاموفوبيا».

وتشتمل الحملة على عدة مراحل، بدأت بالإعلان الترويجي عن الحملة في الشوارع والأماكن العامة، ثم دعوة مؤسسات المجتمع المدني، لتقديم مقترحات مشاريع لمكافحة «الإسلاموفوبيا»، وأخيراً إتاحة الفرصة للسكان المحليين للتصويت على هذه المشروعات، لتقوم البلدية والشرطة المحلية بتمويل هذه المشاريع

وبما أن السودان يحمل البعدين العربي والإفريقي فإن هذا يكسب الاحتفال بسنار عاصمة للثقافة الإسلامية ميزة خاصة لا تتوفر في أي دولة أخرى من خلال السعي في هذه الاحتفالية لإبراز البعد القومي السوداني بجناحيه العربي والإفريقي.

تجربة الحكم اللامركزي

تجربة الحكم اللا مركزي للدولة السنارية، والذي أشرنا إليه كطموح ما زال يتم التطلع إليه، تجربة فريدة وقد أشاد بها نائب الرئيس السوداني الفريق بكري حسن صالح في إحدى زياراته لولاية سنار، كما أن هناك ورش عمل عديدة تجري بإشراف حكومة الخرطوم لإعادة العمل التام بهذه التجربة الفريدة التي كان السودان من أوائل من طبقها عبر السلطنة الزرقاء وعلى مدى أكثر من ثلاثمائة عام متواصلة، وربما يتم تطبيق نتائج هذه التجربة في ظل نتائج توصيات الحوار الوطني باعتبار أن إشراك الشعب في الحكم من أفضل الوسائل للاستقرار السياسي المؤدي إلى الازدهار بكافة أوجهه اقتصاديا وثقافيا.

سنار والاختيار

اختيار مدينة سنار عاصمة للثقافة الإسلامية في ٢٠١٧، جاء ارتكازا على مقرّرات المؤتمر الإسلامي السادس لوزراء الثقافة الذي انعقد في باكو بجمهورية أذربيجان في أكتوبر من العام ٢٠٠٩، والذي تم فيه اعتماد لائحة عواصم الثقافة الإسلامية للفترة من ٢٠١٥ إلى ٢٠٢٤، ومملكة سنار أو السلطنة الزرقاء أو الدولة السنارية، تعد نواة الدولة الإسلامية الأولى في السودان والتي امتد سلطانها ونفوذها لأكثر من ثلاثة قرون خلت.

وقد أكدت أكثر من ٥٠ دولة مشاركتها في الاحتفال بمدينة سنار عاصمة للثقافة الإسلامية.

وتوجد في مدينة سنار العديد من الآثار مثل قصر السلطان والمسجد الكبير وحوش الحريم، والعديد من آثار المملكة القديمة لم تصمد نتيجة العوامل الطبيعية والمواد الهشة التي بنيت بها كالطين الأخضر، وبالأخص تشويهها وطمسها من قبل الاستعمار، واشتهرت مملكة الفونج أيضًا بالقباب المطلية باللون الأبيض ذات

التنوّع المذهل من الأشكال التي توضّح الأصالة والتفرد في البناء والارتباط الوثيق بالبيئة والمناخ.

سنار الآن

ربما يكون الاسم التاريخي لسنار وراء إبرازها كوحدة إدارية مستقلة تعرف الآن بولاية سنار، وتقع سنار في الحزام السوداني المطير في منطقة السافانا الغنية، وهي بذلك تتميز بصيف حار ممطر يبلغ معدل الحرارة فيه أعلى درجاته في شهر أبريل / نيسان ليسجل ٤١ درجة مئوية، وتهبط درجة الحرارة الدنيا إلى ١٧ درجة مئوية في شهر يناير / كانون الثاني، وتبدأ الأمطار في الهطول في شهر مارس لتتوقف في نوفمبر / تشرين الثاني مسجلة أعلى معدل لها في أغسطس ١٧٢ مليمتراً فيما يبلغ المعدل السنوي السنوي ٥١٢ مليمترا.

يتركز السكان بالولاية حول ضفاف النيل الأزرق ونسبة قليلة حول مناطق الإنتاج الزراعي ، وتعداد سكانها ١,٤٠٠,٠٠٠ نسمة، يتأثر توزيع السكان بالولاية بتوفير الخدمات الضرورية، هذا فضلاً عن أوجه النشاط الاقتصادي المتعددة الأخرى.

وتضم ولاية سنار سبع محليات هي: محلية سنار، محلية سنجة، محلية الدالي والمزموم، محلية السوكي، محلية شرق سنار، محلية الدندر، محلية أبو حجار.

ماليا.

وقد أسفرت عملية التصويت الإلكتروني عن فوز ١٣ مشروعاً، واعتبر المرصد أن هذه المشروعات تعد نموذجاً في التسامح والتكافل الاجتماعي، والتضامن في مواجهة المشكلات، التي تتعرض لها فئة من المجتمع، بناءً على لونها أو معتقدها أو ممارساتها الدينية، خاصة وأن المشروعات تحظى بإشراف المسلمين والسيخ والهندوس، نظراً لأن جرائم الكراهية، تمس أتباع هذه الأديان أيضاً، بما يعطي انطباعاً بأن هناك اصطفافاً من جانب أصحاب الأديان لمواجهة التمييز ضد دين بعينه.

كما أشاد المرصد بمشاركة المجتمع الأسكتلندي في التصويت على المشاريع المطروحة والاختيار من بينها، والتعاطي بإيجابية وفعالية مع المشروع، الذي تشرف عليه بلدية مدينة إدنبرة والشرطة المحلية، مؤكداً أن هذا التفاعل والمشاركة من جانب المجتمع، يعكس حجم الوعي لدى الشعب الأسكتلندي بخطورة انتشار «الإسلاموفوبيا»، وتأثيرها على المسلمين بشكل خاص، وأصحاب الأديان بشكل عام.

عبد العزيز السرحان مدير مكتب الرابطة في إيطاليا:

نسعى إلى تفعيل الحوار مع الآخر ونشر ثقافة التعايش بين الأديان

حوار: توفيق محمد نصر الله

أوضح مدير مكتب الرابطة في إيطاليا الدكتور عبد العزيز بن أحمد السرحان أن مكتب الرابطة في إيطاليا أنشئ قبل ٢٢ عامًا، وأنه يقوم بالعديد من الأنشطة الدعوية والثقافية والاجتماعية وغيرها، منها التعريف بالإسلام وتصحيح صورته في الإعلام الغربي، وتفعيل الحوار بين الأديان والحوار مع الآخر، ونشر ثقافة التسامح بين الجميع.

وأكد السرحان في مقابلة معه أجرتها مجلة الرابطة أن الحكومة الإيطالية لم تعترف بالدين الإسلامي حتى الآن بسبب الفرقة بين المنظمات التي تمثل الجالية الإسلامية وعدم اتفاقهم على من يمثلهم، مع أن هذا الاعتراف بالدين الإسلامي يضمن للمسلمين دعمًا يتراوح بين ثمانية إلى مائة مليون يورو، عبارة عن إعفاءات ضريبية. وأهاب بكل الأقليات التي تعيش في إيطاليا وأوروبا بأن تحترم قوانين هذه البلاد وخاصة الجالية الإسلامية التي طالبها بالاندماج في المجتمع، وأن ترسل أبناءها للمدارس الحكومية الإيطالية، ولا سيما أن القانون الإيطالي يكفل التعليم للجميع.

• متى نشأ مكتب الرابطة في إيطاليا؟ وكيف كانت علاقة الرابطة بإيطاليا؟

قبل أن أبدأ الإجابة على هذا السؤال يجب أن أنوه وأشيد بجهود الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله، في دعم الجالية المسلمة في إيطاليا، ففي عام ١٩٧٣م، تكللت مساعيه رحمه الله، بموافقة الحكومة الإيطالية على إقامة مركز ثقافي إسلامي في مدينة روما. وتكريمًا لجلالته أهدت بلدية روما الجالية الإسلامية موقعاً مميزًا، مساحته ثلاثون ألف متر مربع تقريباً في منطقة (مونتى

• الحكومة الإيطالية لم تعترف بالدين الإسلامي بسبب الفرقة بين المنظمات التي تمثل الجالية الإسلامية وعدم اتفاقهم على من يمثلهم

أنتنـــي Monte Antenne) الذي لا يبعد كثيرًا عـــن (الفاتيكان). وواصل خادم الحرمين الشـــريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ما بدأه الملك فيصل، حيث أنشأ على نفقته الخاصة المركز الإسلامي في روما ليصبح الحلم حقيقة تتجسد على أرض الواقع جسراً مهماً يؤســـس ويرســـي العلاقات الثقافية والحضارية مع أوروبا بصفة عامة ومع الشعب الإيطالي بصفة خاصة.

ويعتبر هذا المركز الإســـلامي أكبر مركز إســـلامي في أوروبا، قام بافتتاحه عام ١٩٩٥م، نيابة عـــن الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله، خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز، عندما كان أميراً لمنطقة الرياض. ولقد تشـــرفتُ بأن أكون منظم حفل الافتتاح، فقد جئت من إسبانيا لهذا الغرض بتكليف من معالي الدكتور أحمد محمـــد علي الأمين العام للرابطـــة ذلك الوقت، علماً أن الملك فهد رحمه الله هو من دفع تكاليف بناء المركز. أما بخصوص نشـــأة مكتب الرابطة في إيطاليا فقد أنشئ المكتب قبل اثنين وعشرين عاماً، ومقره منذ إنشائه داخل المركز الثقافي الإسلامي في روما، لأن الرابطة هي من تدعم وتدفع كامل ميزانية المركز منذ إنشائه وحتى الآن. ولقد تم تسجيل الرابطة في إيطاليا على أنها (منظمة إسلامية شعبية غير حكومة)، وأتممنا تجديد هذا التسجيل عند حضوري لإيطاليا قبل عام تقريباً.

• ما أهم النشـــاطات والخدمات التي يقدمهـــا مكتب الرابطة للمسلمين وغير المسلمين في إيطاليا؟

هناك نشـــاطات متعددة ضمن خطة ســـنوية مقننة مدروسة وموافـــق عليها مـــن الإدارة العامة للمكاتـــب والمراكز الخارجية بالرابطة، وقد قُسمت إلى عدد من النشاطات الدعوية والثقافية والاجتماعية والإعلامية والفنية والرياضية. وتشمل على سبيل المثال لا الحصر:

• التعريف بالإسلام وتصحيح صورته في الإعلام الغربي بصفة عامة والإيطالي بصفة خاصة.

• التواصل مع المسؤولين الإيطاليين المعنيين بالشؤون الإسلامية.

• تفعيل الحوار بين الأديان، والحوار مع الآخر بصفة عامة.

• نشـــر ثقافة التعايش بين الجميع، وفتـــح قنوات التواصل مع

• زيارات العيسى ودعوته للوسطية والحوار واحترام دساتير الدول لها صدى كبير في وسائل الإعلام

الفاتيكان.
• إقامة ندوات ثقافية.
• إقامة مسابقة حفظ القرآن الكريم وحفظ السنة والسيرة النبوية.
• توزيع المصحف الشريف وترجمة معانيه على الجمعيات الإسلامية والمساجد والأفراد.
• إقامة الحفل السنوي للتعريف بالرابطة ومناشطها وأهدافها.
• إقامة الدورة الرياضية الكبرى للجالية المسلمة مع إشراك

• نقوم بالتعريف بالإسلام وتصحيح صورته في الإعلام الغربي

فرق إيطالية من غير المسلمين.
• نشاطات اجتماعية مثل زيارة السجون، وزيارة المستشفيات، وزيارة المنظمات والهيئات الإسلامية والمساجد.
• التعاون مع السفارات والملحقيات الثقافية والدينية في الشأن الإسلامي.
• تفعيل اللقاءات الأكاديمية مع أساتذة الجامعات والمستشرقين.
• التعاون مع المركز الإسلامي في روما في بعض المناشط.
• استقبال من يرغبون في إشهار واعتناق الإسلام ومساعدتهم لكي يتعرفوا على الإسلام بعمق.
• المساهمة في إفطار صائم خلال شهر رمضان المبارك.
• الدفاع عن الإسلام والمسلمين إعلاميا وقضائيا إذا لزم الأمر.
وتُؤدى كل هذه المناشط مع مراعاة التعايش السلمي، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدولة الإيطالية واحترام دستورها وقوانينها.

• ذكرتم مساعدة من يشهر إسلامه، فما هو دور المكتب في

• المركز الإسلامي في روما هو أكبر مركز إسلامي في أوروبا

هذا المجال؟
للمكتب دور كبير في هذا المجال، فهو أولا وأخيرا يدعو للإسلام بطرق متعددة، بواسطة المحاضرات الدعوية في الكنائس والمنتديات الثقافية وغيرها، كما يستقبل من يرغب في الاستزادة من علوم القرآن أو السنة، ونقوم بتزويده بالكتب اللازمة والدروس الخاصة، كما نستقبل من يريدون إشهار إسلامهم وندعمهم بكل الطرق المتاحة، مثل إقامة لقاءات للمسلمين الجدد، لغرس المفاهيم والقيم الإسلامية مع التركيز على أن الإسلام دين سلام وتسامح وأمن وأمان ودين تعايش مع الآخر، يحتضن الآخر ولا يلفظه أو ينكر عليه دينه أو ثقافته.

• ما أهم المشكلات والتحديات التي تواجه المسلمين في إيطاليا في ظل أساليب التضييق التي تواجههم، وما أبرز مظاهر التضييق في إيطاليا، وما الذي ينقص المسلمين هناك؟
في الحقيقة لا أرى في إيطاليا مشكلات أو تحديات بمعنى الكلمة، فإيطاليا دولة لها دستورها وقوانينها، والمسلمون الذين يعيشون فيها قد وفدوا إليها من بلدانهم العربية والإسلامية طلبًا للرزق أو هرباً من حرب أو من ظلم، فيجب أن تحترم الجالية المسلمة قوانين الدولة وأنظمتها ودساتيرها، ونحن نعرف أن إيطاليا دولة علمانية، دينها المسيحية، وقد أتاحت الحكومة للمهاجرين إليها والراغبين في الإقامة فيها من غير أهلها حرية الديانة وحرية العيش، وإذا كان للجالية المسلمة مطالب غير موجودة في القانون أو الدستور فعليهم أن يطالبوا بها من خلال القنوات الرسمية، وأن ينتظروا صدور أحكام دستورية تمنحهم حقوقهم التي يطالبون بها... وفي الغالب والعموم فإن المسلمين يعيشون حياة تكفل لهم حرية الدين والتعبير ... وهنا يجب أن أنوه بأن الحكومة الإيطالية لم تعترف بالدين الإسلامي كدين رسمي في البلاد حتى الآن، وهذا ليس بسبب الحكومة ولكن بسبب تفرق ممثلي الجالية المسلمة، حيث إن كل هيئة ومنظمة تقدم ملفاً للحكومة تطالبها فيه الاعتراف بالإسلام، ودائمًا ما يأتي الرد من الحكومة بالرفض، وكأنها تقول لهم: اذهبوا واتحدوا وقدموا ملفًا واحدًا لنمنحكم الاعتراف. كما أن مسألة الحجاب والنقاب في إيطاليا لا تمثل هاجسًا للمسلمين حتى الآن، فالمرأة في إيطاليا لها الحق أن تنتقب أو أن تتحجب، وقد يتغير الحال في أية لحظة.

• كم عدد المراكز والمؤسسات الإسلامية في إيطاليا؟ وكم نسبة المسلمين لعدد السكان؟
عدد المراكز والمؤسسات الإسلامية في إيطاليا غير معروف بالدقة، بسبب فقدان التوثيق الدقيق، لكن ما تم إحصاؤه عن طريق بعض الجهات الرسمية: أربعة مساجد كبرى معترف بها في إيطاليا، منها المركز الثقافي الإسلامي (المسجد الكبير) وهناك ٤٠٠ مؤسسة إسلامية مسجلة رسمياً لدى السلطات الإيطالية، كما يوجد ٢٢٢ مكاناً للعبادة غير مسجلة أو جار تسجيلها، علما أن نسبة المسلمين لعدد السكان هي ٣٪ ، ويمكن أن تصل إلى ٥٪ عام ٢٠٣٠م، وقد تفوق ١٠٪ عام ٢٠٥٠م، حسب آراء مراكز البحوث، علماً أن عدد المسلمين يبلغ حاليًا مليون وسبعمائة ألف مسلم.

• ما الدور الذي يقوم به كل من اتحاد الجاليات المسلمة والرابطة الإسلامية والمعهد الثقافي الإسلامي وجمعية الاتحاد

الإسلامي في الغرب ؟

بعض هذه الأسماء لهذه المنظمات قد تغير إلى أخرى، وعلى كل فإن هذه المنظمات بمسماها القديم أو بعد التغيير يندرج تحتها عشرات المساجد المنتشرة على الأراضي الإيطالية. وفي الحقيقة فإن لهذه المنظمات نشاطات سياسية واجتماعية ودينية وثقافية وتعليمية مختلفة، تصب في خدمة الجالية المسلمة، ولها كذلك نشاطات دعوية، وقنوات للحوار مع غير المسلمين، كما تقوم هذه المنظمات بالدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين في إيطاليا ... علماً أن أدوارها قد تكون تكاملية في كثير من الأحيان، لكن التنسيق فيما بينها يحتاج إلى تفعيل أكبر لتصبح قوة حقيقية يمكنها فرض متطلبات الجالية وتحقيق أهدافها الدينية والاجتماعية والسياسية وتجسيد شخصيتها الإسلامية على أرض الواقع، وذلك من خلال القنوات الرسمية.

• ما موقف الجالية المسلمة من عدم اعتراف الحكومة الإيطالية بالدين الإسلامي؟

سبق وأن أشرت إلى أن الحكومة الإيطالية لم تعترف بالدين الإسلامي على الرغم من أعداد المسلمين التي تفوق أعداد الجالية اليهودية والبوذية والهندوسية بصورة كبيرة، لكن نقطة الضعف تكمن في أن ملف الاعتراف بالإسلام قُدم من عدة جهات إسلامية، مما جعل الحكومة تتردد وتتريث في الاعتراف بالدين الإسلامي لهذا السبب وهو الفرقة بين المنظمات التي تمثل الجالية الإسلامية في إيطاليا، علماً بأن الاعتراف سيضمن للمسلمين دعما من الضرائب الحكومية يقدر بثمانين إلى مائة مليون يورو، يمكنها أن تغير من خارطة العمل الإسلامي في إيطاليا، وكذلك من الدعم المادي للجالية، حيث سيسهم الدعم الحكومي في تحسين ميزانيات المنظمات الإسلامية وتمكنها من بناء المراكز والمساجد والمدارس للجالية. لكن المشكلة تكمن في هذا السؤال: لمن ستعطي الحكومة الإيطالية هذا الدعم؟ ثم مَنْ له الحق في التصرف والصرف من هذا الدعم؟ الجواب: فقط الجهات المعترف بها رسميًا هي التي ستتولى الهيمنة على هذه المعونة وصرفها؟ وسؤال آخر: هل ستقوم الجهة أو الجهات المخولة بالصرف حسب ما تخططه هي أو حسب ما يخطط لها من الحكومة؟ وهل سيوزع هذا الدعم بناء على عدالة تقيمها السلطات الإيطالية؟ وللإجابة على كل هذه الأسئلة يجب أن تنتظر الجالية أولاً الاعتراف بالدين الإسلامي.

• كيف ترون التوجه الرسمي لإغلاق المساجد ومنع بنائها للحد من نمو الإسلام في إيطاليا؟

قد تكونون سمعتم عن خبر إغلاق بعض المساجد في إيطاليا، لكن يجب أن نعرف مسببات الإغلاق، فبعض المساجد أرسلتْ لها تحذيرات من قبل السلطات الرسمية الإيطالية ، وذلك قبل قرارات الإغلاق بعدة أشهر لمخالفتها قوانين وأنظمة السلامة. وأنا شخصيًا صليتُ في بعض هذه المساجد أو المصليات، فوجدتها تقع تحت الأرض، في أقبية ليس فيها مصادر للتهوية ولا مصادر للضوء، والنزول إليها عبر درج حلزوني عرضه ستون سنتيمتراً، فلو حدث أي طارئ، لا سمح الله، فإن كارثة حقيقية ستقع من جراء تدافع المصلين للهروب من المصلى أو المسجد. فأنا أرى أن للسلطات الإيطالية الحق في إقفال هذه المصليات، لفقدانها الحد الأدنى من وسائل الأمن والسلامة، وهذا ما أوضحته لنا السلطات الإيطالية، علماً بأن العلاقات الجيدة مع السلطات والتفاعل مع الأنظمة والقوانين، سيؤدي حتماً إلى الاستجابة والإسراع في إجراءات معاملات التراخيص لبناء المراكز والمساجد في إيطاليا... وقد زرتُ عدداً من المشاريع لمراكز ومساجد إسلامية، في مراحل بنائها النهائية، خاصة مشروع المركز الإسلامي في منطقة بيروجيا، شمال روما، وكذلك مشروع المركز الإسلامي في ميلانو ... ففي حال تطبيق التراخيص والأنظمة والقوانين، فإن السلطات لا تمنع التراخيص، لأن القانون كفل للمسلمين وغير المسلمين أن يمارسوا شعائرهم الدينية بحرية تامة وأن يقيموا مساجدهم بالطرق النظامية، تحت مظلة القوانين التي تحدد المعايير التي يتطلبها كل مشروع .

• كيف يمكن حماية أبناء المسلمين في المدارس الإيطالية من فرض القيم الكاثوليكية عليهم ومراعاة الاختلافات الدينية

والثقافية في ظل مطالبة بعض الأحزاب بالمحافظة على القيم الكاثوليكية مهما كان الثمن؟

بصفة عامة، من حق أية دولة أن تحافظ على قيمها بالطريقة التي تراها. ومن حق أي دولة أن تفرض دينها الأساس الذي تريده ... لكننا إذا أردنا أن ننظر إلى الأنظمة السياسية في الدول الأوروبية لوجدناها دولاً علمانية ديمقراطية. والدستور الإيطالي مقتبس من التوراة (العهد القديم) والإنجيل ... ولكن للخوف من تمدد الإسلام وانتشاره السريع والواسع في القارة، ولوجود (الإسلاموفوبيا)، وللخلفيات التاريخية بين المسيحية والإسلام، تبقى هذه التأثيرات كامنة في المجتمعات الأوروبية، وتَظْهر بين الفينة والأخرى أن تقوم الدولة بتغيير دستورها من أجل إيقاف شعيرة إسلامية معينة، مثل ما حدث في فرنسا عندما غيروا الدستور لمنع النقاب، على الرغم من أن عدد المنقبات حوالي (٢٠٠٠) منقبة من ستة ملايين مسلم يعيشون في فرنسا! لكن في النهاية يجب الإذعان للقانون وللدستور، لأن مخالفة الدستور تعتبر جريمة يحاكم عليها القانون.

ومن هذه المنطلقات، يجب على المسلمين أن يندمجوا في المجتمع من خلال الدستور وأن يرسلوا أبناءهم للمدارس الحكومية الإيطالية، مع المحافظة عليهم في المنزل وفي المساجد أو في المدارس الخاصة بهم، لتعليمهم العلوم الدينية الإسلامية واللغة العربية، وهذا ما تفعله الأقلية المسلمة في جنوب إفريقيا، التي أعتبرها أفضل (أقلية مسلمة) على وجه الكرة الأرضية، وليت جميع الأقليات المسلمة في العالم تقتدي بها، فهي أنموذج يجب أن يحتذى به. ومن جهة أخرى، يمكن للمسلمين أن يحققوا قدرًا من النفوذ السياسي عبر الأحزاب السياسية، فإن احترمت كلمتهم، صار في إمكانهم منح أصواتهم للحزب الذي يستجيب لمطالبهم وحقوقهم. هذا من شأنه جلب الأحزاب إليهم لتخطب ودهم، ومن هذا الباب يمكن للمسلمين التأثير على الأحزاب.

• ما الأسباب التي تحول دون قبول اللاجئين والطلاب المسلمين في الفصول الدراسية؟

لا يوجد سبب معين يحول دون إلحاق اللاجئين والطلاب المسلمين في الفصول الدراسية، فالقانون الإيطالي يكفل التعليم لجميع من يعيشون على الأراضي الإيطالية، والسبب الوحيد الذي يحول دون ذلك هو عدم حصول الطالب أو اللاجئ للأوراق الثبوتية الرسمية التي تثبت إقامتهما قانونيًا في إيطاليا، وبدون هذه المستندات لا يمكن إلحاق أي طالب بالمدارس، علماً أنه قد يتأخر استخراج هذه الوثائق شهوراً، لكن في النهاية الجميع يندرجون تحت مظلة التعليم الإجباري.

• تتألف الجالية الإسلامية في إيطاليا من عرقيات مختلفة من العالم العربي والإسلامي، وهناك اختلافات في الطباع والثقافة وطريقة الحياة أدت إلى عدم الانسجام بين هذه الأطياف، فكيف يمكن التوفيق بينهم للتقليل من هذه الاختلافات؟

التفرقة مشكلة تؤرق جميع المسلمين في إيطاليا وفي أوروبا أيضاً، فالمسلمون الذين يفدون إلى إيطاليا، تجدهم متفرقين، فلدى كل طائفة منهم مركز أو جمعية ينتمي إليها ولا يحيد عنها ويدافع عنها، ولا تجمعهم مظلة واحدة ليكوِّنوا وحدة تعمل من أجل مصلحة الجميع. ولقد بدأ مكتب الرابطة في إيطاليا بطرح فكرة جمع هذه الطوائف وهذه العرقيات المختلفة تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي من أجل تقديم ملف الاعتراف بالإسلام (فقط) ووجدتْ الفكرة تأييداً من البعض ورفضاً تاماً من البعض الآخر، لأن كل طائفة ترى أنها الأحق في تقديم هذا الملف للسلطات الإيطالية. لكننا إن شاء الله سنسعى من أجل تقريب وجهات النظر، لعل الجالية أن تتحد مرة واحدة من أجل هدف أسمى وهو الاعتراف بالإسلام... أسأل الله أن يعيننا لتوحيد الجالية إن شاء الله، لكن الأمر يحتاج إلى عمل دؤوب.

• لعله قد مرت بكم بعض المواقف فيما يتعلق باعتناق الدين الإسلامي؟

المواقف كثيرة ومتعددة، ومنها أنني وسكرتير المكتب ذهبنا قبل

شهور إلى صيدلية لشـــراء كرسي متحرك، وكان في الصيدلية امرأتان، وبما أنني كنت مرتديًا ثيابي السعودية، سألتني إحداهما عن جنسيتي، (ولأنني متعلق بالدعوة إلى الله، أستغل مثل هذه المواقف)، فشـــرحت لها أنني من مكة المكرمة عاصمة الإسلام والمسلمين، وأخذت أشرح لها الإسلام، فطلبت منا كتبًا ومصحفًا، فزودناها بما طلبته، وبعد أيام اتصلت تستفسر عن موقف الإسلام من المرأة، فأخبرناها، وبعد اقتناعها اعتنقت الإسلام، ولله الحمد. هذا باختصار شديد وإلا فالقصة لها تفاصيل ... كما أحمد الله أن كثيرين اعتنقوا الإسلام بتوفيق من الله عز وجل.

• كيف ترى الأثر لزيارات معالي الأمين العام لدول العالم؟

في الحقيقة كان لزيـــارات معاليه المتتالية التي شـــملت عددًا من دول العالم صدى كبير في الأوســـاط الإســـلامية والعالمية، أشـــادت بها كبريات الصحف العالمية، وكذلك وســـائل الإعلام المختلفة، وذلك للنهج والمنهج المتجدد الذي يتبعه معاليه، الذي يصب في تحقيق أهداف الرابطة، فكان معاليه يدعو للوسطية والحوار الفكري من أجل سعادة البشـــرية، كما دعا معاليه إلى احترام دســـاتير الدول والتعامل معها وفق الأنظمة التي تكفل الحرية في المعتقـــد وحرية التعبير والعدالـــة لتحقيق مطالب الجالية الإسلامية... كما أكد معاليه في زياراته أهمية التعايش الاجتماعي، وقبول الآخر بمختلف دياناتهم، ما دام الجميع في بلد واحد ومجتمع واحد. إنني أشـــجع وأؤيد هذه الزيارات والمؤتمرات والحـــوارات، لأنها من الســـبل الممكنة ليتفهمنـــا الآخر، ولأنها الطريق الذي يفتح قنوات التفاهم والتعارف وتصحيح المفاهيم والتأثير على الغير.

• (كلمة *Kalima*) صحيفة يصدرها مكتب الرابطة في إيطاليا هل يمكن أن تحدثنا عنها؟

نبعت فكرة صحيفة كلمة منـــذ أن عُينت مديرًا لمكتب الرابطة في روما، ثـــم أخذت الفكـــرة تتبلور عندما علمت أن ســـكرتير المكتب الأخ نزار رمضان (لبناني الأصل إيطالي الجنســـية) كانت لديه صحيفة تصدر باللغة الإيطالية قبل عشر سنوات (العائلة المســـلمة) ثم توقفت لظروف اقتصادية، فأبديـــتُ فكرتي التي تبلورت وتجســـدت في صحيفـــة المكتب (كلمـــة Kalima) التي تعتبر أول صحيفة رســـمية تصدر باللغتـــين العربية والإيطالية عـــن مكاتب ومراكز الرابطة في العالم ... وقد أشـــاد بها الجميع (مســـلمون وغير مســـلمين)، كما أيدها ودعمها معالي الأمين العام، وأطلق عليها (الفكرة الرائدة)، وإنني آمل أن نصدر صحيفة شاملة باللغات الأوروبية قريبًا إن شاء الله ... كما إنني أتطلع إلى إيجاد قنوات عبر وسائل التواصل الاجتماعي والفضائي لإسماع صوتنا لأوروبا والعالـــم، وآمل إزالة العراقيـــل الإدارية التي تؤخر صدور الصحيفة مستقبلا، علمًا أن الصحيفة مسجلة رسمياً لدى الدوائر الرسمية في إيطاليا.

• ما مدى التعاون بين مكتب الرابطة والمركز الإسلامي في روما؟

منذ أن وطئت قدماي أرض روما، أخذت بادرة الســـلام على الأمين العام للمركز الإسلامي الدكتور عبد الله رضوان، الذي استقبلني اســـتقبالاً طيباً، ومنذ ذلك الحين ونحن نتبادل التقدير والاحترام، كما أنني أتعاون وأنســـق مع ســـعادته في كثير من النشاطات المشـــتركة ... ونحن نتطلـــع جميعًا للمزيد من تنســـيق الجهود خدمة للإسلام والمسلمين في هذه البلاد.

• كيف كان لقاؤكم في الفاتيكان ؟

كان لقاءً رائعاً لم أتوقعه، فقد كان على درجة كبيرة من التنظيم وأعطوه عناية خاصة، واســـتقبلوني هناك استقبال كبار الزوار، وقد تبادلنا الأفكار والرؤى، والشـــيء اللافت للنظر أن ســـكرتير الدولة للعلاقات المونســـيور مايكل كروتي كانـــت لديه خلفية جيدة عن الرابطة... وفي الحقيقة فقد وعدونا بتســـهيل إجراءات زيارة معالي الأمين العام إلى الفاتيكان.

• هل ثمة رســـالةٌ توجهها لمعالي الأمـــين العام، وماذا تقول له فيها؟

أقول له أعانك الله على هذه المســـؤولية التي تحملتموها، وهذه الأمانة التي تقلدتموهـــا، وأنتم أهل لها... كما أقول لمعاليه بأنني أتوق لرؤية (الرابطة الإلكترونية في جميع إدارات الرابطة)، وأرجو التخلص مـــن الإدارة التقليدية التي جثمـــت على صدر الرابطة عشرات السنوات، وكانت عبئا على العمل، وحواجز تعيق عجلة التطوير.

• ورسالة أخرى لمن توجهها:

أوجهها لزوجتي رفيقة دربي أم أسامة الدكتورة حياة بنت حسن شـــهاب، التي رافقتني مســـيرة حياتي حلوها ومرها، وساندتني ودعمتنـــي ووقفت إلى جانبي أثناء دراســـتي في الولايات المتحدة وتحملت مسؤوليات العائلة الجسيمة... وبعد أن تقلدتُ عدداً من المناصب في الداخـــل والخارج خاصة المناصـــب التابعة للرابطة، كانت نعـــم الزوج ونعم الرفيقة ونعـــم الأم ونعم الداعية، فقد دعمت وصبـــرت وضحت، ثم وبعـــد أن عينتهـــا الرابطة أمينة للهيئة العالمية للمرأة والأســـرة المسلمة، دأبت على إبراز مكانة المرأة والأسرة المســـلمة ودافعت عن قضايا المرأة في الأمم المتحدة لأول مرة في تاريخ الرابطة، وواصلت الليل بالنهار لتقدم شـــيئاً يفخر به المســـلمون وتفخر به الرابطـــة، ولأول مرة في تاريخ الأمم المتحدة، وبجهودها وصديقاتها اللائي رافقنها أســـقطن وثيقة من الوثائق التي تحـــط من مقدار المرأة المســـلمة... فأقول لها يا زوجتي العزيزة اصبري واحتســـبي فقد كنت شـــجاعة في الحق، عظيمة في مواقفك، مضحية من أجل قضايا المرأة والأســـرة في الأمم المتحدة، فلا تشـــغلي بالك لأن من يراك ويرى عملك هو الله ســـبحانه وتعالى، وأقول لك إن قنوات العمـــل مفتوحة أمامك، فالقادم أفضل وأعظم.

رمضان في جزر سيشل

د. زلفى بنت أحمد

المدينة المنورة

يحفُل شهر رمضان المبارك بذكريات عطرة وثمار يانعة جادت بها مسيرة الدعوة الإسلامية، فكم من محسن قدّم عطاءه للمحتاجين في هذا الشهر الكريم؛ سدّاً لعوزهم، وابتغاءً لأجر مضاعف وعد به أكرم الأكرمين، وكم من حافظ لكتاب الله العظيم ضرب في بقاع الأرض، وطاف مشارقها ومغاربها؛ بغية إمامة المسلمين في صلاة التراويح في مساجد المسلمين العامرة، وكم من داعية حمل همّ هداية البشرية، فسارَع لإيصال دعوة الإسلام للباحثين عن الحق، الفاقدين للسكينة، الراغبين في بلوغ برّ الأمان والنور.

وهاكم قصة إحدى الداعيات التي استشعرت مسؤولية الدعوة إلى الله، فحملتْ على عاتقها إيصال مشعل الهداية والبصيرة إلى أولئك الفئة المؤمنة في جزر سيشل، المحتاجين إلى ما لديها من علم شرعيّ، وفقه دعوي.

تتألف جزر سيشل من نحو (١١٥) جزيرة في المحيط الهندي، عاصمتها فيكتوريا التي تقع في جزيرة «ماهي» أكبر الجزر، وتعدّ أصغر عاصمة في العالم من حيث المساحة، كما أنها المدينة الوحيدة وميناء البلاد الوحيد، وفيها المطار الوحيد بالدولة وما دونها من المدن مجموعة قرى صغيرة، ولكونها المدينة الوحيدة في البلاد حظيت باهتمام كبير من الدولة.

يتكون السكان من عناصر إفريقية، وخليط وافدين من جزيرة مدغشقر، ومهاجرين من الهند، وقد وصلها الإسلام على أيدي مجموعة من المهاجرين من الهند والملايو في القرن التاسع عشر الميلادي. وكان من المهاجرين الهنود الداعية آدم موسى وهو من مسلمي ولاية كجرات الهندية، وأصبح أحفاده يكوّنون أسرة مسلمة كبيرة في سيشل، ومنهم الشيخ أبو الفضل محمد إبراهيم الداعية المشهور في سيشل، والذي أسس المركز الإسلامي في سيشل، ويضم المركز مسجداً ومدرسة قرآنية ومكتبة متواضعة، ومن أبرز التحديات: الجهل بالإسلام، واختلاطهم بالأجانب.

صباح يوم الجمعة كانت بداية رحلة أختنا الداعية، إذ انطلقت مع زوجها إلى فكتوريا عاصمة جزيرة (ماهي) كبرى جزر سيشل في المحيط الهندي. وخلال الرحلة كانت تفكر مليّاً فيما يجب تقديمه من محاضراتٍ وتوجيهات للجالية الإسلامية هناك.

وهناك زاروا مسجد الجزيرة الرئيس، وكان من قسمين: قسم للرجال، وآخر للنساء، وملحق فيه مدرسة للصغار، وقد دار نقاش مع المسؤول عن النشاط الدعوي فيما سيُقدمونه لمسلمي سيشل في أثناء إقامتهم بينهم، فتَقرّر أن يصلي الزوج التراويح في المسجد، وينهض بتدريس القرآن صباحاً

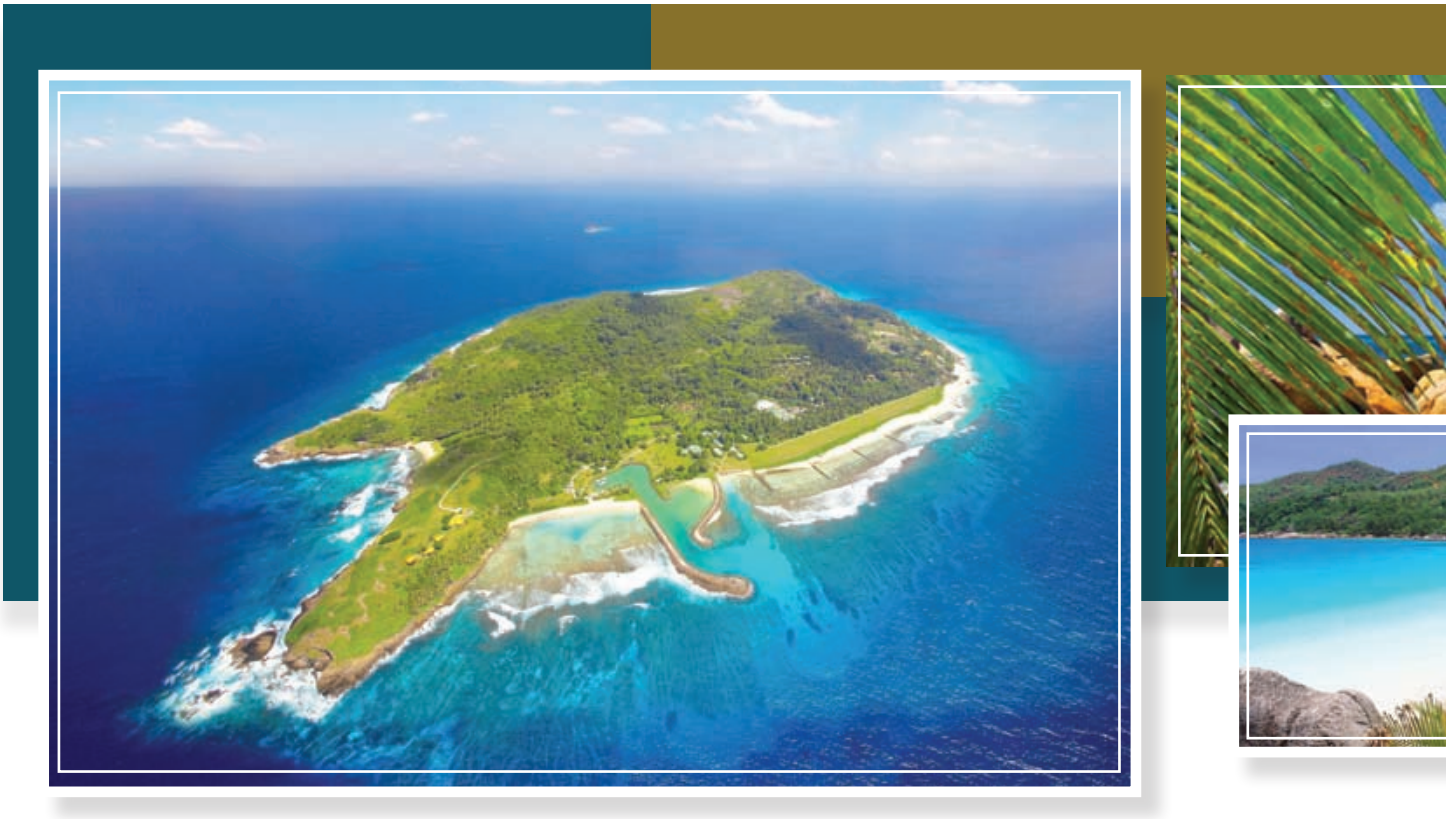

وعصراً. أما هي فعليها أن تلقي محاضرة في الصباح، وتدرّس القرآن عصراً، وسيكون التواصل مع الأخوات باللغة الإنجليزية، فالجميع في سيشل يتحدثون الإنجليزية، بالإضافة إلى الفرنسية ولغتهم المحلية.

في الساعة العاشرة من اليوم التالي كان موعد لقائها الأول مع الأخوات، عرَّفْتهن في البداية بنفسها، مُبديةً إعجابها بالجالية المسلمة، وبجزيرتهم الجميلة، وبالجو الرائع البديع. وشرعت المستهدفات في القراءة الجماعية لبعض السور الصغيرة، وشرحت لهن بعض المعاني البسيطة منها، ثم بدأت القراءة الفردية، مع شرح بعض مبادئ التجويد.

في صباح اليوم التالي ذهبت إلى المسجد في تمام العاشرة لتبدأ أولى محاضراتها، التي تحدثْتُ فيها عن الغرض من وجود المسلم في هذه الحياة، وتفاعلت الأخوات معها بمداخلاتهن وأسئلتهن، وكان من بين الحضور طفلات فوق سن الثامنة، فحاولتُ مشاركتهن في المحاضرة عن طريق سؤالهن بعض الأسئلة المناسبة لأعمارهن مما له علاقة بموضوع المحاضرة، ثم سألَتهن عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، كما سألَتْهن عن أسمائهن ومعانيها، والملاحظ أن أغلبَ أسمائهن كانت باللغة العربية؛ مما يدل على عناية آبائهن بهذه اللغة العظيمة. ثم اتفقَتْ مع الأخوات على أن تخصص لهن يوماً لفقه المرأة، واليوم الآخر لمحاضرة تختار موضوعها، فوافقن على ذلك.

وتمّر الأيام في تلك الجزيرة حافلة مترعة بالعطاء، إذ شُغل الزوج بتحفيظ الشباب والفتيان القرآن الكريم وإمامة التراويح، وشُغلت الداعية بمحاضراتها الصباحية والتحضير لها، وترجمتها إلى الإنجليزية، وتحفيظ البنات والأخوات عصراً.

محاضرة اليوم الثالث كانت تدور حول باب الطهارة وأحكامها، ثم كانت أسئلة للفتيات عن الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة، ثم حكاية زيد بن حارثة، ومن خلالها شرحَتْ لهن حرمة التبنِّي في الإسلام.

أما محاضرة اليوم الرابع فكانت عن يُسر الإسلام وسماحته، وفي نهاية المحاضرة سألتْ الأطفال بعض الأسئلة عن الأذكار الإسلامية والأدعية وفضلها، ثم استنتجوا معاً أنها مثال بيِّن واضح عن يُسر الإسلام وسماحته؛ إذ يُعطي الله المسلمَ الأجر الجزيل على ذِكر سهل بسيط يذكُرُه ويدعو الله به، وفي العصر كان درس القرآن ثم صلاة التراويح في المسجد.

وفي اليوم الخامس أكملتْ مع الأخوات ما تبقى من أبواب الطهارة، ثم سألت الأطفال بعض الأسئلة عن الأنبياء، وفُتِح

بعد ذلك بـــاب النقاش مع الأخـــوات والأطفال، فشـــكَوْا لها صعوبة الحياة في هذه الجزيرة؛ فالحياة غالية، والحجاب ممنوع في المدارس، وغير المســـلمين يستهزئون أحياناً بالمحجبات، بالإضافة إلى انتشـــار المخدِّرات والكحول بين الشباب. وقد حاولت جهدها اســـتيعاب مشـــاعرهم، وحثهم على الصبر والمجاهدة في هذه الحياة، وبشَّرتهم بالأجر المضاعف من الله تعالى.

في المســـاء تعرفَتْ الداعية على زوجة إمام المسجد، واقترحَتْ عليها مشروع كتابة مقالة بعنوان: (كيف أسلمت؟!)، وطلبت منها مســـاعدتها مع رفيقاتها بأن يكتبن لها كيف تحولن من النصرانية إلى الإسلام، فوعدتها خيراً.

بعد عصر يوم الســـبت ركبوا ســـفينة في المرفأ لتقلَّهم من كبرى جزر سيشل: (ماهي) إلى جزر أخرى من جزر سيشل.

وقد نالهم التعب في هذه السفينة، فالمحيط في هذا الوقت من العام شـــديد الهيجان، مما يجعل حركة السفن فيه صعبة؛ إذ تتلاعب الأمواج بها، مع مطبات مائية شديدة، مما جعل الكثير من الركاب يشـــعرون بالدوار والغثيان، وقد حدَّثهم صديق لهم أن سائحاً روسيّاً ركب هذه السفينة أول مرة، فذُعر من حركتها الخطيـــرة تلك، فظن أن المَنيَّة ســـتوافيه علـــى ظهرها، فانهار وانخرط في موجة من البكاء شـــديدة، وبعد عناءٍ دام خمســـاً وأربعين دقيقة من النصَب والتعب وصلوا إلى محطتهم الأولى: جزيرة (براليه).

في تلك الجزيرة استقبلَهم أحد الدعاة، وكان يتقن العربية؛ لأنه أحد خريجي الجامعة الإســـلامية في المدينـــة المنورة، أوصلهم إلى مسجد الجزيرة، فأفطروا هناك، وصلَّوا المغرب، ثم استأذنوا للراحـــة، وقُرب المســـجد كان مقرّ إقامتهم، في شـــقة كبيرة من طابقين، مجهزة بكل ما يحتاجون إليه، ويُســـمونها (بيت الضيافـــة)، وهي ملـــكٌ لرجل ثري كان مســـؤولاً في الحكومة، أســـلم قبل ستّ سنوات، وسخَّر نفســـه وماله لخدمة الدعوة الإسلامية ودعمها.

بعد صلاة العشـــاء والتراويح في المسجد، تعرفت الداعية على بعض الأخوات، وتجاذبت معهن أطراف الحديث، ونصحتهن بعض النصائـــح، ثم كان الخلـــود إلى النوم خيرَ وســـيلة للراحة بعد رحلتهم المضْنية.

أخذهـــم أحد أبنـــاء الجزيرة بعـــد فجر اليوم التالـــي في رحلة لمشـــاهدة جزيرة (براليه)، فتجولوا على الشاطئ وفي الغابات، وصعِدوا الجبل والتلال، فشاهدوا عن بُعدٍ جزيرةً يسمونها (بنت العم)، وجزيرة أخرى يسمونها (بنت الخال).

وفي أثناء جولتهم على هـــذه الجزيرة تجاذبوا أطراف الحديث مع مرافقهم، فحدثهم عن تاريخ الإســـلام في جزر سيشل، فقد تعرّف أهلها على الإســـلام عن طريق التجـــار الهنود منذ مئة وخمسين سنة، ولكن العجيب في الأمر أن أولئك التجار كانوا يحتكرون الإســـلام، فلا يســـمحون لأحد باعتناقه، ثم بدأ رويداً رويداً بالانتشـــار... أما في جزيرة (براليه) فقد بدأ الإســـلام منذ ســـت سنوات، وكان عدد المســـلمين ثلاثة فقط، ثم بدأ ينتشر حتى صار عدد المسلمين اليوم فيها حوالي مئتي مسلم، كلُّهم مِن أهل سيشل.

أما عن قصة إســـلامه فقال: إنها كانت محضَ مصادفة، فقد كان لديه صديق يتعاطى المخدِّرات، حدّثه يوماً عن الإسلام، وبيَّن لـــه أنه دِين يدعو إلى التوحيد ومـــكارم الأخلاق، ويحرِّم ما يضر بالإنسان، ولكن نقطة ضعفه تكمن في المخدِّرات، وهي محرَّمة، وليســـت من الإســـلام في شيء. ثم أهداه نســـخةً من القرآن الكريم مترجمة إلى الإنجليزية، فقرأها، وبدأ يســـمع محاضرات الشـــيخ أحمد ديدات، ويقرأ كتبه، حتى اقتنع بالإسلام وأعلن إســـلامه. وبقصته هذه لفت الانتباه إلى أن الدعوة إلى الإسلام واجبة على كل مسلم ومسلمة مهما كان تقصيره في جَنْبِ الله، ولا يحتقر نفســـه ويزدريها بســـبب مـــا يُثقل كاهله من معاصٍ وســـيئات... ثم ســـألوه عن مدى التزام النصارى هناك بدِينهِـــم، فأجاب بأن غالبيتهم نصارى بالاســـم فقط؛ فهم لا يتبعون النصرانية حقيقة، بل بعضهم لا يفهم تعاليمها، ثم إن مرافقهم ســـنحت له فرصة إتمام دراسته الجامعية، وحصل على منحة للدراسة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ورجع إلى سيشـــل بعد أن أتم دراســـته، وبـــدأ بالدعوة إلى الله تعالى، ثم حدَّثهم عن طريقته في دعوة النصارى إلى الإسلام، فهـــو يبدأ معهم بالتشـــكيك في عقيدتهم عـــن طريق إثارة تساؤل: هل يختلف الابن عن الأب في الصفات البشرية؟ فلمَ إذاً تقولون: إن عيســـى هو ابن الله وهو يختلف عنه؟ إن كونه ابنه يلزم أن يكون عيســـى مثل الله - تعالى الله عما يشركون - أي يلـــزم أن يكون لكم إلهانِ اثنان، ومن هنا يبدأ النصارى المدعوون بالشـــك في دِينهم، ويبدؤون البحث عن الإسلام، والقراءة عنه، ومِن نتائج دعوته المباركة إســـلام امرأةٍ ثرية تملِك فندقاً فخماً، وأخرى تعمل مع الشـــرطة، كما أسلم رجل ممسوس قرأ عليه الرقية الشرعية، فلما شفي أعلن إسلامه.

وفـــي الجزيرة جامع تقام فيه الجُمَع والصلوات، ويؤمُّهم شـــيخ أســـلم منذ ســـبع عشـــرة ســـنة، وهو أحد خريجي الجامعة الإســـلامية في المدينة المنورة. كما ذكَر لهم أن جزر سيشـــل تتكـــوَّن من مئة وخمس عشـــرة جزيـــرة: أربع منهـــا مأهولة بالسكان، أما باقي الجزر فهي إما غير مأهولة، أو أنها للسياحة، أو صناعية.

بعد تلـــك الجولة الماتعة تجهزوا لزيارة الجزيـــرة الثالثة (اللاتيك) فتجولوا في أنحائها، وشـــاهدوا عن بُعدٍ الجزرَ الأخرى، كجزيرتي الأخت الصغرى والأخـــت الكبرى، وجزر جـــوز الهند، ثم دخلوا إلى الغابة، وانتقلوا عن طريقها من الشـــاطئ الشـــمالي إلى الشاطئ الجنوبي.

زاروا بعد تلك الجولة منـــزلَ أحد الدعاة في تلك الجزيرة، فحكى لهم أنه استقر في هذه الجزيرة منذ شهرين؛ بغرض الدعوة إلى الله فيها، وأسلم على يده حتى الآن سبعة رجال وثلاث نسوة.

وهم يجتمعون عنده في رمضان للإفطار ثم العَشاء والفتوى ثم صلاة التراويح. وفي وقت الظهيرة كان موعد عودتهم إلى (ماهي) كبرى الجزر، فركبوا إحدى سفن المحيط الهائج. فكانت أمواجه تعبث بهم كريشة في مهب الريح... وقد قيل لهم فيما بعد: إن الكثير يفضلون السفر إلى الجزر الأخرى بالطائرة في هذا الوقت من العام؛ فالمحيط هائج الموج مدة ستة أشهر في العام، أما في الستة الباقية فالجو لطيف غير مزعج البتة.

قرأتُ مع الأخوات عصر ذلك اليوم سورتي الطارق والبروج، ثم قصّت عليهنّ قصة أصحاب الأخدود، والفوائد المستفادة منها، وكم دُهشوا لهذه القصة، وعجبوا لثبات المؤمنين مع ما تعرَّضوا له من تعذيب بالنار في ذلك الأخدود العظيم.

في تلك الليلة زارهم أحد الإخوة ، وحكى لزوجها عن ذكرياته في الجامعة الإسلامية، معبراً عن حنينه الجارف للمدينة المنورة؛ فالسنوات التي قضاها فيها -على حد قوله- هي مِن أروع سنوات عمره، ثم تناقش مع زوجها حول مشاكل مسلمي سيشل الدعوية.

وفي هذه الأثناء شُغلَتْ الداعية في تحضير محاضرة الغد، وكانت عن الخوف والرجاء والحب في الشريعة الإسلامية، وكيف نجمع ونوازن بينها؟

بعد محاضرة اليوم التالي سألَتْ الداعية طالباتها بعض الأسئلة عن فضائل السور، وقصَّت عليهن قصصاً عن الصحابة تناسب أعمارَهن الوردية ، ثم وعدتهن أن يكون اليوم التالي -وهو آخر أيامها في سيشل - يوم مسابقة بعد محاضرة بسيطة.

التقَتْ الداعية بعد صلاة تراويح ذلك اليوم بإحدى المسلمات الحديثات في الإسلام، وكانت تستخدم الكرسي المتحرك على إثر خطأ طبي في عملية جراحية أصابها بشلل نصفي. وقد أسلمَتْ منذ ثمانية أشهر على يد إمام المسجد، إذ التقى بها في الطريق في أحد أيام الجُمَع أثناء ذهابه إلى الصلاة، فساعدها في تحريك كرسيها، ولما سألَتْه عن وجهته أخبرها أنه متوجه للصلاة في المسجد، ثم شرح لها طرفاً عن الإسلام، واقترح عليها أن ترافقه إلى المسجد لترى بنفسها صلاة المسلمين.

وفي المسجد أعجبت الأخت بالإسلام، والشعائر الإسلامية، وسارعت عن قناعة إلى النطق بالشهادتين، وقد ساعدتها زوجة الإمام في اختيار اسم إسلامي جديد، وعلمتها أمور دينها الأساسية. وعلى الرغم من إعاقتها كانت تأتي يوميّاً لحضور الإفطار مع الأخوات وصلاة التراويح.

أشرقت شمس اليوم التالي على آخر يوم لهم في سيشل... وفي المسجد كان اللقاء الأخير مع الأخوات والطالبات، وكان حول قصة يوسف عليه السلام، والدروس المستفادة منها، ثم كانت المعلومات التي سبق أن شرحتها لهن، وبعد المسابقة وزعَت الهدايا على الفريق الفائز ثم الفريق الثاني.

ودَّعَتْ الداعية الجميع بالدموع والعناق، وبكل براءة الطفولة رجَتْها الصغيرات أن تزورَهن مرة أخرى مع والديها وأولادها.. وفي طريق عودتها مع زوجها إلى الفندق اتصل بهما رئيس الجالية الإسلامية، ودعاهما إلى لقائه في مكتبه قبل عودتهما إلى الفندق، وهناك حكى لهما الأخ عن تاريخ الإسلام في سيشل، وقدومه إليها من موطنه الأصلي (جزر المالديف)، ثم تطرق إلى الحديث عن مشاكل المسلمين وهمومهم في جزر سيشل ومشروعاته ومخططاته التي يعزم على إقامتها لحل المشكلات وللوصول إلى الهدف النهائي الذي يتمنى تحقيقه في هذه المدينة، ثم أبدى لهما عظيم شكره وامتنانه على ما قدّماه من محاضرات ودروس لتثقيف الجالية ومساعدتهم خلال الأسبوعين الماضيين، وطلب منهما كتابة تقرير عما شاهداه في المسجد والمدرسة مدة إقامتهما.

بعد عصر ذلك اليوم جلست الداعية مع الأخوات في المسجد، وتبادلت معهن بعض الأحاديث الودية، وعبَّرْنَ لها عن حزنهن البالغ لانتهاء مدة إقامتها في سيشل، وقدمن لها هدية تذكارية تعبيراً عن حبِّهن الأخوي الصادق، وشكرنها على ما قدمته لهن مِن دروس ومحاضرات، ثم بدَأَنَ درس القرآن حتى أذان المغرب، ولم تستطع العودة إلى الفندق إلا بشق الأنفس بسبب تزاحم الصغيرات عليها بين مُوَدِّعة ومعانِقة وباكية، غير مصدقات أنها المرة الأخيرة التي سيرينها فيها قبل سفرها؛ إذ كان خيالهنَّ الواسع يصور لهنَّ أنها ستغدو من أهل سيشل.

فجر اليوم التالي حان وقت وداعهم لتلك الجزيرة الحالمة. فأوصلهم أحد الدعاة إلى مطار سيشل، فودعت هذه الجزيرة بقلب حزين، سارحة بخيالها إلى ذلك اليوم الذي تلتقيها من جديد.

وفي الطائرة فكرت الداعية في رحلتها الدعوية، وما ولّدته من سعادة وسكينة في قلبها، وكان ثمة درسان عميقان تعلّمَتْهما في رحلتها تلك:

• أن تولَدَ مسلماً موحداً وتستشعر حلاوة الإيمان منذ نعومة أظفارك، تلك نعمة عظمى تستحق حمد الله وشكره عليها، وبالمقابل أن تولد في مجتمع ملحد أو يدين بدين آخر غير الإسلام ثم تعتنق الإسلام عن قناعة ورغبة وانشراح صدر، فتلك نعمة لا تقلُّ عظمة عن الأولى؛ فالمسلم الجديد إنسان مخضرم استشعر بكيانه ظلمة الجاهلية، واطلع على سَوْءاتها، وعانى من ويلاتها، فكان ظمؤُه إلى الإسلام بالغاً، وتوقُه للنور شديداً، وشوقه للمكارم عظيماً.

• أن تغدوَ مسلماً مطبِّقاً لشعائر الله وشرائعه أمرٌ جَلَلٌ عظيم، فإن أضفتَ إلى ذلك دعوة الآخرين إلى دين الله، وتوحيده، وترغيبهم فيما فيه من شعائر وأخلاق، فذاك أعظم شأناً وأرفع قدراً، وإن أُكرمت واستُجيب لك فهي النعمة العظمى والمنّة الفضلى من رب كريم، سخَّرك لخَلْقه ليهتدوا على يدك، وسيَّرك إليهم لتنير لهم دربهم، فغدوتَ كمشعل نور في غياهب الظلمات، ومنارة إرشاد لقلوب التائهين.

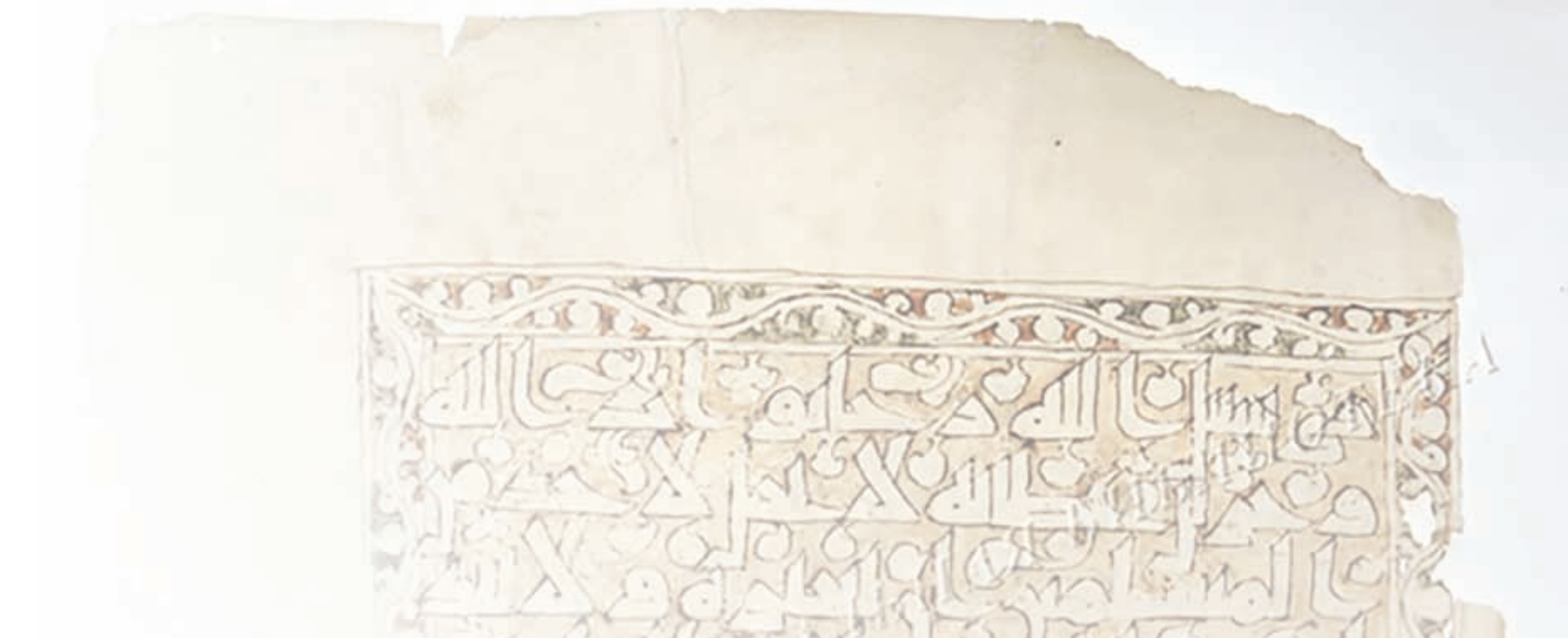

محيي الدين رمضان
النحوي الأديب ومحقق الدراسات القرآنية

أحمد العلاونة - الأردن

ما بين حيفا التي ولد فيها النحوي والأديب المحقق الدكتور محيي الدين رمضان عام ١٣٥٢ هـ/١٩٣٣م (من أصل لبناني) وعدة مدن أولها دمشق التي نشأ وتعلم فيها وعشقها، وآخرها إربد في شمالي الأردن، التي علّم في جامعتها (اليرموك) ربع قرن ١٩٨٠-٢٠٠٥، فعمان التي ألقى فيها عصا الترحال منذ عام ٢٠٠١ حتى وفاته فيها يوم الخميس ٦ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ/٢٠١٧/١/٥م.

عاش كارثة عاشها إخوة له قبل خمسة قرون عندما اغتيلت إنسانيتهم في الأندلس، فنزلوا المغرب (في المصطلح القديم: الجزائر وتونس والمغرب) ومصر، وانتظروا العودة، وبقيت مفاتيح منازلهم معهم حتى يرجعوا إليها، فاحتفظ بها جيل بعد آخر، وبقيت أمه تحتفظ به.

لما استقر به المقام في دمشق، عاش وأسرته وقتاً عصيباً، لكنه مضى لا يتوانى في طلب المعرفة، ولا سيما القراءة والاطلاع، متنقلاً ما بين المدرسة، ودار الكتب الظاهرية، ومسجد بني أمية، وتخرج في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق، ثم نال الماجستير والدكتوراه من جامعة عين شمس، وعمل مدرساً في جامعة اللاذقية (تشرين الآن) ١٩٧٤-١٩٨٠، ثم قدم الأردن مدرساً في جامعة اليرموك بإربد.

حظي بمعرفة كثير من الأعلام خاصة في سوريا ومصر، وبعضهم في عداد أساتذته، كالأستاذ سعيد الأفغاني، وأحمد راتب النفاخ، والدكتور شكري فيصل، والدكتور مهدي علّام، وعلي النجدي ناصف، والدكتور عبدالقادر القط، والدكتور رمضان عبد التواب، ومحمود محمد شاكر، وآخرين عرّفته إليهم الكلمة، مثل محمود تيمور، ومحمد محمد حسين، وأمين يوسف غراب، والدكتور حسين نصار، وكان لمثله فيهم قدوة حسنة في كثير مما لا بدّ لطالب العلم أن يتمثّلها

مما ألّف: (في صوتيات العربية) و(الجمان في علوم القرآن) و(الإعراب القريب) .

ومما حقق: (إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل) للأنباري، مجلدان (الكشف عن وجوه القراءات السبع)، مجلدان، لمكي بن أبي طالب القيسي، الذي عُني به فحقق له أيضاً (التبصرة في القراءات) و(تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم) و(الإبانة عن معاني القراءات) و(المكتفى في الوقف والابتداء) لأبي عمرو الداني، و(المنهل الروي في مختصر علوم الحديث) لابن جماعة، و(القوافي) للقاضي التنوخي بالاشتراك مع عديله الدكتور عمر الأسعد، و(القطع والائتناف) للنحاس.

تميز أسلوبه بالاختصار غير المخلّ، والدقة والرشاقة في العبارة، وتخيّر اللفظ والبعد عن التكلّف.

رحمه الله وغفر له، وأكرم نزله على ما قدم لدينه وأمته ولغته.

على ضفاف قويق

د.آمنة بن منصور - الجزائر

اســـتيقظَتْ فجأة.. بعد أن صفعتها لسعة باردة من نسمات البوسفور الذي كانت تجلس بالقرب منه.. تبيع المناديل.. للحظة خُيل لها أنها تجلس على ضفاف نهر قويق ولكنه البوســـفور. ما أشـــبه الأمس باليوم. فقط اختلفت الأسماء. وتباينت الأماكن. وتبقى الذكريات الرفيقة الوحيدة حتى نقضي.

- يا أخت. يا أخت..

انتبهت من شرودها ورفعت رأســـها. ترك أحدهم بعض القطع النقدية التي تحمل صورة أتاتـــورك وانصرف. حتى النقود تغيرت صورتها. لكن لم تتغير قيمتهـــا. ضمتها في يدها فرحة. فهي أكثر بكثير من ســـعر المناديل..لم تكن وحدها هناك. فعلى طول الشوارع والطرقات المؤدية إلى البوسفور. ينتشر عشرات الأطفال الذين يرتدون أســـمالا بالية. وأحيانا عراة الصـــدور في عز البرد. يستجدون تارة. ويبيعون تارة أخرى. وأحيانا يلتزمون الصمت..

لـــم تكن ربى طفلة. بل شـــابة يافعة في الثالثة والعشـــرين. ولكنها تبدو أصغر من ســـنها. فجسدها النحيل الذي يختفي خلف حجاب أخضـــر خضرة عينيها الناعســـتين. جعلها تبدو طفلة في الخامســـة عشرة. نعم فالجوع يفعل ذلك ويفعل أكثر من ذلك .. ما أكثر الناس الذين يقصدون البوسفور اليوم. حدثت نفسها. ولكن الغلة قليلة.. ربما تعودوا على رؤيتنا في كل مكان. في إسطنبول و إزميربل في كل شبر من تركيا ..

فبراير ٢٠١٢

كانت المكتبـــة مليئة بالكتب المتراصة. كتبٌ عن كل شـــيء وفي كل المجالات. وكان الصمت يخيم على قاعة المطالعة. فالكل مشغول بإنجاز بحثه. أو مطالعة كتابه المفضل .. مدت يدها نحو كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر. ورأت يدًا أخرى تحاول أخذه..

- معذرة سيدي ولكني بحاجة إلى الكتاب.

- كذلك أنا.. رد شـــاب طويل القامة ممتلئ الجســـم. كما لو كان رياضيًـــا أو ربما مصارعًـــا. رمقها بنظرة من عينيه الســـوداوين. تمالكت نفســـها وتكلمت بـــكل حزم: إذن ليكن قســـمة بيننا أطالعه ساعة. ثم تطالعه ساعة حتى ننهيه. فكما تعلم مثل هذه الكتب لا يسمح بإخراجها.

- موافق. فقط سجليه باسمك لأني نسيت البطاقة لو سمحت. رد بسرعة ودون اهتمام كبير بأمر الكتاب.

جلســـا معا على طاولة قريبة من الرفوف. انهمكت في القراءة وتســـجيل الملاحظات. وأخرج هو صحيفـــة يطالعها باهتمام. ومرت ساعة كاملة. انتبهت للساعة.

- سيدي.

- اسمي جاد.
- و أنا رُبى، تفضل الكتاب فقد حان دورك.
طلب جـاد من رُبى أن تتـرك الكتاب عندها حتـى تنتهي منه، وينتهي هـو من قراءة الجريدة التي غـاص فيها، تعجبت لأمره.. أرادت سـؤاله ثم أحجمت..لم تشأ الاسترسال معه في الحديث أكثر، فهي تعرفه منذ سـاعة فقط.. وبعد قليل قطع الصمت سائلا إياها:
- لعلك سـمعتِ بمـا يحدث من مظاهرات وأحداث شـغب في بعض المحافظات؟
- بلى سمعت، الله يجعله خيرا.
صمت قليلا ثم واصل الحديث:
- لكننا لسنا كتونس ومصر، لن نسمح بالفوضى، جيشنا قوي، وشعبنا قوي ...لا شك أنها زوبعة وستمضي لحالها ..
- إن شاء الله، الحقيقة لست مهتمة كثيرا بأمور السياسة، كل ما أرجوه الخير والأمان لبلادي، ورجوع أَخَوَي ..
فجـأة رن هاتفها، كانـت المتحدثة أمها، طلبـت منها الرجوع بسـرعة إلى البيت، فقد سمعوا أخبارا غير جيدة عن مظاهرات ورصاص.. وصلت أخيرا..
قصدت غرفة أمها تسـألها عن سـبب المكالمة، وعن إبراهيم، فأخبرتها أنها شـاهدت على الشاشـة مظاهرات في مناطق متفرقة من سـوريا، فخافت عليها، ثم سلمتها رسالة إبراهيم التي يخبرهم فيها بقرب إنهاء خدمته في الجيش .. فرحت كثيرا واستبشرت خيرا .. وأخيرا سـيعود و يلتئم الشمل .. ثم أردفت قائلة :
- ومؤيد؟ ما من خبر؟
منذ أشهر قليلة اختفى مؤيد ولا يعرف عنه شيء، قبل اختفائه كان كثير التردد على الفيس بوك، وكان يتصل كثيرًا ويتصلون به كثيرًا.. لم يكمل عامه الثامن عشر لكنه كان يحمل بين أضلعه قضية أمة تريد التحرر من الظلم أو هكذا كان يؤمن .. منذ ذلك الوقت والخالة أم إبراهيم لا تراوح فراشـها، آلام الروماتيزم وآلام الولدين الغائبين، فكم تراها تحتمل؟
فـي هذه الأثناء عاد العم أبو إبراهيم من العمل، رحبت به ابنته، أخذت عنه معطفه، وذهبت لتحضر لهم الغذاء ..
أبو إبراهيـم، رجل طيب، يعمل في مركز البريـد، يتقاضى راتبًا متوسـطا، لكنه يكفيه لحفظ ماء الوجه.. نجح في تربية أبنائه الأربعة وتعليمهم، وذلك أقصى مـا يتمناه المرء من الحياة. بقي له على المعاش عام أو أقل، وأخيرا سيرتاح، أو هكذا ظن فالراحة التي ينشدها ربما بعيدة المنال.
في اليوم التالي، قصدت رُبى الجامعة، ثم عرجت على المكتبة كعادتهـا تنهل من الكتـب دون كلل أو ملل .. سـمعت صوتًا يناديها، التفتت نحوه .. إنه جاد .. رحب بها ثم دعاها لاحتسـاء الشـاي في الكافتيريا.. تعجبت من جرأته ورغبته السريعة في التعرف عليها، هذا ولم يمر إلا يوم على لقائهما الأول ..

كان جاد سريع البديهة والفطنة، لا يتلعثم في الكلام، والإجابات عنده جاهزة، أخبرهـا بأنه كان يراقبها منذ مـدة، كان الكتاب مجرد حجة ليتعرف عليها، وبالفعل عرف عنها أشـياء طيبة، وباختصار وجد فيها مواصفات فتاة أحلامه..
تحدثا قليلا ثـم افترقا.. توجهت رُبى إلى البيـت، هذه المرة بدت الطريق قصيرة، ربما لم تشعر بالوقت رغم الدوريات الكثيرة لأنها كانت في عالم آخر تبني أحلامها.. ألسنا نحلم ونبني ونهدم في ساعة من الليل.. وجدت الباب مفتوحا، دخلت بسرعة - أمي أمي ردت بصوت متقطع- «عائشة أنتي جيتي؟».
- إيه إمي خير ؟
- الله لا يسامحهم؟
- من؟
- لا أدري، ناس أغـراب أتوا، كنت وحدي بالبيت، طرقوا على الباب بقـوة، ثم فتحوه بالعنف، وصاروا يصرخـون ويلعنون: وين ابنك المرتد، كلب النظام.. سألتهم:
- قصدكم ابني إبراهيم؟ طيب ليه؟ ماذا فعل؟ هو يؤدي الخدمة وقريبا يعود..
ردوا عليَّ بغضب: الله لا يرده، الخائن، والله لا نخليه يندم.
خفق قلب رُبى بشـدة، ولسـان حالها يقول: أهذا هو الشعب الواحد القوي؟ أهذا هو الجيش العربي؟
مر أسبوع على هذه الحال، وفي كل ليلة يأتيهم ضيوف ثقال، بين من يتوعد إبراهيم ومن يترصد مؤيد.
وفي إحدى الليالي سمعوا طرقًا خفيفًا على الباب، انتابهم رعب شديد..

-٢-

بوسـفور... بوسـفور ... بوسـفور

استيقظت ربى من شرودها على صوت صاحب العبَّارة مذعورة، فالرحلـة عبر الزمـن ليسـت بالهينة.. حين ينفصـل الدماغ بذكرياتـه عن الواقع ليلامس الماضي بأفراحـه وأحزانه.. الماضي الذي رغم كل شيء أحببناه وألفناه..
السياح يقصدون العبَّارة أفواجًا أفواجًا، يطلبون المتعة والفرجة، حيـث تجوب بهم من الضفة إلى الضفـة، رحلة أكثر من رائعة حين تتعانق زرقة السـماء مع زرقة الميـاه، وفوقك طيور النورس تطير يمينا وشـمالا، وعلى مد البصر تتـراءى لك القصور والآثار ومعالم حضارة العثمانيين وإنجازات الأتراك ..
غيرت رُبى مكانها، تتتبع أشعة الشمس لتدفئ جسمها النحيل، ومن بعيد اسـتقبلها مسجد السليمانية، يا لعظمة المسجد، تذكـرت الجامع الأموي الكبير بحلب ... ما أعظمه مسـجدا.. أو كان فيما مضى مسجدا.. فقد شاهدت على الشاشة ما آل إليه المسـجد.. بل ما آلت إليه حلب كلها من خـراب ودمار .. أصبح التلفزيون همزة الوصل بينها وبين وطنها .. من خلاله تطلع على ما يجـري هناك .. ولهذا فهي لا تفـوت الفرصة متى ما وجدت

شاشـــة في مطعم أو محل .. أحيانا يتركها أصحابه تشـــاهد الأخبـــار رأفة بها، وأحيانـــا يطردونها لأنها تشـــوه جمال المكان بملابسها الرثة ..

الســـاعة الســـابعة مســـاء، طرق خفيف على الباب، فتح أبو إبراهيم الباب.. إنه جاد وبرفقته سيدة كبيرة.. لكنه لا يعرفهما ثم ما سبب الزيارة في هذا الوقت؟

- أهلين عمو ، أهلين خالة .. ســـامحوني على الزيارة المفاجئة في هذا الوقت..

تسمرت رُبى في مكانها من هول المفاجأة.. استمر جاد في الحديث والتعريف بنفسه وبسبب زيارته وقد أخذ راحته في الكلام كأنما يعرف هذه العائلة منذ زمن.. جلس الجميع في قاعة الاستقبال، انتهت كل كلمات الترحيب وتبادل التحيات والسلام، وحان وقت الجد..

لـــم تنطق أم جاد كلمة البتـــة، فجاد هو الـــذي أدار الحوار كله، وجاء بها لتتعرف عليهم لا أكثر، فهي امرأة مســـنة، وتبدو بوادر (الزهايمر) عليها، يداها ترتعشـــان وبالكاد استطاعت رفع كأس الشاي، لكنها أخفقت في وضعه فانسكب ...

وســـرعان ما اســـتطاع جاد أن يكســـب مودة عمه الجديد فهو يحسن الحديث جيدًا.

مر أســـبوع كامل .. وذات صباح أقبل أبو إبراهيم فرحًا إلى البيت وهو يحمل رســـالة من ابنه، لم يشأ فتحها بل أراد قراءتها أمام الجميع، فالجميع يهمهم الأمر.

بدأ في قراءة الرسالة .. بعد التحية والسلام والسؤال عن الصغير والكبير .. فجأة توقف .. نطق الجميع - خير شو فيه؟

- لم يسمحوا لنا بالمغادرة، وكل منخرط في الجيش سيبقى فيه حتى تنتهي بوادر الأزمة والإضرابات وأحداث الشغب ...

لطمت أم إبراهيم خدها وأخذت في البكاء ورُبى تخفف عنها ..

- الله (...) اللّي كان السبب ..

وهل يعـــرف أحد من كان الســـبب؟ لقد اختلطـــت الأمور، كل واحد يدعي أنه على حق، والجميع يتكلم باســـم الشعب وباسم الضعفاء وباسم المصلحة العامة، حتى الأطراف الأجنبية تدعي خوفها على هذا الشعب المسكين ..

أقبل الربيع بخضرته ودفئه، ولكن ســـماء حلب لا تزال مكفهرة بالغبار والدخـــان.. والدم، ومع ذلك فقد أتى يحمل الجديد ..كانت عائلـــة أبو إبراهيـــم الصغيرة في البيت مجتمعـــة على مائدة العشاء ..سمعوا طرقًا خفيفًا .. انتاب الجميع الخوف والقلق معا .. قام أبو إبراهيم من مكانه ليفتح ..وكانت المفاجأة..إنه ولده.

كان مؤيد يلبس لباس المقاتلين، وقد اعتراه الغبار والتراب، غير أنه حرص على أن يخبئ ســـلاحه في مكان قريب من البيت، حتى لا يخيف عائلته ..

- أنا بخير أبي، الحمد لله وفقني الله والتحقت بجماعة مجاهدة تقاتل ضد الظلم والطغيان ..

- وهل تدرك خطورة ذلك ابني؟ كل مرة يأتون للسؤال عنك ومرة أخذوني وضربوني .. و..

- الله يقطع أيديهم، وهذا ما يزيدني إصرارًا على محاربتهم حتى الموت.

انتبهت رُبى إلى الصفرة التي كست وجه أخيها، يبدو أنها صفرة الجوع، ويبدو أنه لـــم يأكل منذ مدة، اقترحت عليه وضع الطعام فرحب على الفور:

- إيه والله أنا ميت من الجوع، عندنا الأكل قليل وقد نبقى ليومين لا نـــأكل إلا قليلا من الخبز والماء .. جيـــش النظام يراقب تحركاتنا ويمنع علينا المعونة ويقتل كل من يفعل ذلك ..

-٣-

أوت ٢٠١٢

كان صيفًا حارًا، حرارة الشمس، وحرارة النيران، وحرارة الرصاص .. لم تعد حلب هادئة كما كانت مـــن ذي قبل، أو كما أراد البعض وظـــنَّ البعض الآخر.. أدركتها شـــرارة الثورة ..كل شـــيء يوحي بالتغيير، وكل شيء يوحي بمستقبل مجهول ..

أصبح ســـاعي البريد يأتي بنفســـه إلى بيت العـــم أبو إبراهيم بعدما تقاعد، أحضر لهم رســـالة.. ممن؟ من إبراهيم نفسه .. يا الله كم اشتاقوا إليه ..لا بأس فنار الشوق ستنطفئ أخيرا.. وجاء يوم اللقاء.

هرع الجميع لمعانقة إبراهيم والترحيب به، لم يكفوا عن ســـؤاله عن حاله وكيف ينام وكيف يأكل ...

مضت الأيام بســـرعة، وحـــان موعد الرحيل .. خيـــم الحزن على الجميـــع.. قد يطول غيابه هذه المرة .. فزيارة الأهل الآن باتت حلما يـــراود كل منخرط في الجيش .. قبـــل رأس ويد أمه وأبيه، ودع رُبى وعصام .. أغلق الباب وغادر .. فكأنما أغلق أبواب الســـعادة كلها في وجوههم ... لحظات ويســـمعون طلقات رصاص قريبة...خرج أبو إبراهيم فزعًا ..

اجتمع الناس بسرعة .. أبو إبراهيم يعانق جثة ولده البكر ويبكي بحرارة وحرقة.. ماذا فعل.. بأي ذنبٍ قتل ..

ما أكثر الذين قتلوا بغير ذنب ..ضريبة الحرب ..كم هي غالية ..

لم تتمالك أم إبراهيم نفســـها فأغشـــي عليها .. ولم تدر رُبى ما تصنع .. تبكي .. تطلب المســـاعدة .. دكتور من فضلكم ..أبو إبراهيم في عالم آخر .. وعصام وقف مشدوها.

بعد أســـبوع من الحادث المؤلم، جاء جاد لزيـــارة العائلة المنكوبة المفجوعة، يقدم العزاء والاعتذار لغيابه خارج حلب يومها ..

- عظم الله أجرك عمي، أين الخالة لأقدم لها العزاء؟

- أجركم وأجرنا على الله، خالتك أم إبراهيم الآن أشـــبه بالجثة، بعد الحادثة أغشـــي عليها، وحين استيقظت لم تستطع تحريك شيء من جسدها .. وشـــخص الطبيب حالتها بشلل نصفي .. آآه كم ترانا نحتمل أكثر؟

- لا حول ولا قوة إلا بالله، الله معكم، قلبي معكم، هل تريدون أي مساعدة، أنا تحت أمركم.

-٤-

أكتوبر ٢٠١٢

- يا آنسة، الشارع ليس ملكك لوحدك حتى تأخذي راحتك فيه. كانت ربى تفهم التركية جيدًا فقد عاشت في تركيا لأكثر من عامين.

- أعتذر يا سيدي، لم انتبه.

لم تشعر رُبى ومدت رجلها فعرقلت مرور أحدهم، هكذا هم الأتراك فيهم الطيبون وفيهم الجفاة،كما في العالم كله، نظرت إلى الصحن فوجدته قد امتلأ بالليرات. يبدو أنها شردت طويلا ولم تشعر بالمارة، كانت الغلة قليلة في الصباح لكن مع كثرة الحركة تغيرت الأمور. وكان أكثر المتصدقين عليها السياح العرب، فهم أكثر الناس إحساسا بمأساة السوريين. فضلا على أن الكثير منهم زار سوريا في أيام عزها، واحتك بأهلها الطيبين .. ومن لم تكتب له الزيارة فمؤكد قد قرأ عنها، عن الشام، وعن حضارة بني أمية التي امتدت مشرقًا ومغربًا هناك في الأندلس.. أفَتَراها تسقط كما سقطت؟ ربما، فالأندلس وإن أسقطها الإسبان في حروب الاسترداد، إلا أن السبب الحقيقي لسقوطها كان أهلها أنفسهم، حين كان لسان حالهم التشتت والفرقة والتنافس على الحكم .. فما أشبه الليلة بالبارحة!

إنها نهاية الخريف، وقريبًا يحل الشتاء ببرده الشديد، حيث تتزين إسطنبول بالثلوج، خاصة في شهر فبراير، ولكن لا يمنع هذا من وجود فترات صحو تستغلها رُبى لبيع المناديل، وبيع المناديل ليس سوى طريقة لبقة للتسول، ترفع عن صاحبها الحرج، فأغلب المارة يضعون النقود ولا يأخذون شيئا..

بدأت الغيوم تتكاثف، وربما ستنزل الأمطار قريبا .. فليتها تغسل الصدور الصدئة ..

- يا إلهي إنها تمطر ..

أسرعت رُبى نحو أحد المحلات القريبة تختبئ من الأمطار الغزيرة فقد خرجت من الجامعة للتو ولم تحضر معها مطرية لأن الجو كان صحوًا عندما خرجت صباحا، ولكنه الخريف بتقلباته ..حقا ما أشبه الخريف بالحياة المتقلبة.

وبينما هي تنتظر الحافلة، شاهدت جاد جالسًا في أحد المطاعم، همت أن تناديه ..لكن لم يكن لوحده ..كان يجلس معه شخص آخر .. تمعنت فيه جيدا ..كأنها تعرفه.. من..من ..

- آه تذكرته، إنه الجندي الذي كان في دورية التفتيش يومها .. وطلب الوثائق والبطاقات..لكن ما الذي يجلسه معه؟

في هذه اللحظة وصلت الحافلة كادت تصدم أحدهم لأن الأرض تنزلق في المطر، فقام السائق بتشغيل منبه الصوت عدة مرات مما لفت انتباه جاد ..شاهد رُبى.. لكنها كانت قد ركبت.. ومضت..

يناير ٢٠١٣

أقبل الشتاء ببرده وعواصفه، لا أمل يلوح في الأفق، بل إن الأمور تزداد سوءًا يومًا بعد يوم، والدمار يقترب من حلب شيئًا فشيئًا ... حلب مهد الحضارات، عاصمة سيف الدولة وملهمة المتنبي، هل تصبح أثرًا بعد عين؟

وفي أحد الأيام الباردة، إذ بالناس يهرولون في كل مكان بين من يصيح ومن يكبر ومن يندب ... ماذا حدث .. يقال إن نهر قويق لفظ عشرات الجثث .. يا الله .. يا لطيف ..

كل من كان لديه ولد غائب هرع إلى عين المكان يترقب، ويبحث، على أمل أن لا يجده بين الجثث .. العم أبو إبراهيم لم يصدق الخبر وقصد المكان على وجه السرعة، يبحث هنا وهناك .. جل الجثث مشوهة ومنتفخة بالماء.. يا رب .. يا رب.. الله أكبر .. مؤيد .. لا هذا مو مؤيد ..

كانت جثة مؤيد فعلا، لم تتعرض لما تعرضت له الكثير من الجثث، ربما كان آخر من قتل أو قتل في وقت قريب قبل إلقاء جثته في النهر .. المهم مات.. مات آخر أمل .. هل ينجب الناس أولادهم ليفجعوا بهم؟!

من يقتل من ولماذا؟ متى يتوقف مسلسل الدماء هذا؟

وعلا صوت النحيب والبكاء مجددًا في بيت العائلة المفجوعة .. بعد مرور شهر.. أصر جاد على لقاء رُبى لتحديد موعد الزفاف.. ذهبت إلى لقياه بخطى متثاقلة .. ما من موضوع مهم الآن، فقد مات من مات، ويئس من يئس ..

- أهلا ربى، كيفك ؟

- أهلا جاد، الحمد لله على كل حال.

في تلك الأثناء ..كان في الطريق إلى بيتهم جماعة مسلحة .. وجدوا عصام عند المدخل فاستدرجوه وسألوه عن الضيف الذي يأتي بين الحين والآخر .. يقصدون جاد طبعًا .. وبعد انتهاء الاستجواب وضعوه في السيارة التي تنتظرهم غير بعيد ..

كان أبو إبراهيم يضع الإبريق على النار يريد تحضير الشاي، حين سمع طرقا قويا على الباب.

- خيرًا إن شاء الله من أنتم؟

دفعه أحدهم على صدره بقوة حتى سقط - والله عال، تؤوون الكفرة وتستقبلونهم في بيتكم، ونحن نجاهد في الجبال .. تعجب أبو إبراهيم ولم يفهم قصدهم، فولداه قُتلا ولم يبقَ له سوى ولد صغير وصبية.

- نقصد الملازم أدهم دعاس.. عريس الغفلة.

حاول أن يشرح لهم، ويبين لهم أن في الأمر التباسًا فخطيب ابنته اسمه جاد، وهو عامل بسيط في محل، ولا علاقة له بالمخابرات والعسكر ..

- اخرس، على أي أساس سنصدقك؟ والله لو ما كنت في عمر أبي لأكون ذابحك، غبي تزوج ابنتك لعميل النظام .. على كل حال نحن نرصده .. وابنك الصغير لن تراه حتى تستدرج الخائن إلى بيتك، فنستلم وتستلم..

أراد أبو إبراهيم اللحاق بهم والتوسل إليهم حتى يتركوا ابنه فضربه أحدهم بالبندقية على رأسه، فسقط مغشيًا عليه.

نادت أم إبراهيم زوجها غير مرة لكنه لم يرد، مع أنها سمعت

ضجة وناسا .. توجست من الأمر خيفة .. فألقت بنفسها على الأرض تزحف إذ لم يعد بإمكانها المشي أو الوقوف أو حتى الجلوس ..

زحفت بصعوبة شديدة .. تبدى لها زوجها من بعيد ملقى على الأرض والدماء تسيل من رأسه..هالها المنظر .. بحثت في كل مكان عن الهاتف ..لم تجده ..حاولت مرة أخرى حتى وصلت إلى جيبه ..سحبت الهاتف.. رنت على أول اسم دونما تمييز فكانت ربى، لكنها لم تستطع الكلام ..

قامت رُبى بسرعة لا تدري ما تفعل .. اقترح عليها جاد توصيلها بسيارة أجرة فهي أسرع.. وافقت ..

في تلك الأثناء انتبهت أم إبراهيم لشيء يحترق في المطبخ ..لقد ترك زوجها الشاي على النار قبل مجيء الضيوف المزعجين .. تزايد الدخان ..ارتفعت ألسنة النار ..ماذا بوسعها أن تفعل ..حتى صوتها لم يعد يقوى على الصراخ.

تمنت أن تصل ربى بسرعة البرق لعلها تنقذهم.. لكن لسوء الحظ كانت طوابير طويلة عريضة من السيارات في الطريق بسبب حادث مرور .. ومرت ساعتان من الانتظار ..

اشتعل البيت كله بما فيه وقد ساعد على ذلك كميات الحطب والبنزين التي كانت العائلة تحتفظ بها للتدفئة في الشتاء .. وبدل أن تتدفأ احترقت برمتها .. وزاد الأمر سوءًا الرياح التي كانت تضرب بشدة .. أين الناس؟ أين الأمن؟

كان يومًا باردًا و ممطرًا فاختبأ الجميع في منازلهم .. أو ما تبقى من السكان فأغلبهم هرب وهاجر، لم يتفطنوا للأمر إلا بعد فوات الأوان .. الأمطار وحدها أطفأت النار .. وغسلت العار ..

وصلت ربى أخيرًا، ظنت للحظة أنها أخطأت المكان، مستحيل، فقد تركت البيت في الصباح هادئًا .. وأدركته الآن متفحمًا ..لم تشعر بنفسها إلا وهي تهوي على الأرض ..

مارس ٢٠١٣

استيقظت أخيرا.. هنأتها الممرضة التي كانت تجلس بجانبها، على سلامتها، وأخبرتها بأنها ترقد عندهم منذ شهر ..

- أبي، أمي، عصام .. بيتنا ..أين الجميع؟

انخرطت مجددًا في البكاء والنواح فأعطتها الممرضة حقنة مهدئة .. هاتفت الممرضة جاد الذي أوصاها بذلك بمجرد عودتها إلى وعيها فجاء بسرعة.

بعد أسبوع سمح الطبيب لرُبى بالمغادرة .. أخذها جاد إلى أحد المساجد.. أحضر شاهدين .. وعقد الشيخ زواجهما .. حاول جاد بكل الطرق إسعاد ربى.. أصبحت تشعر فعلا أنه عائلتها كلها..

وفي ليلة من الليالي تفقدت ربى جاد فلم تجده .. سمعت همهمة ولمحت ضوءًا خافتًا من الغرفة المجاورة.. أصيبت بالذعر.. توجهت نحو الصوت.. إنه جاد ومعه رجلان.. بزي عسكري ..كاد يغمى عليها لكنها تمالكت نفسها.. لم تستطع الاستماع إليهم فقد كانوا يتحدثون بصوت خافت .. وتبدو علامات الارتباك عليهم.. عادت بسرعة إلى غرفتها وتظاهرت بالنوم.. أما هم فخرجوا جميعا..

في الصباح الباكر استيقظت وفي جعبتها أسئلة كثيرة تحتاج إلى الإجابة.. بدأت أمور كثيرة تتضح..

نسي جاد مفاتيح الخزانة الحديدية لأول مرة لأنه خرج على عجلة ودون سابق إنذار.. لم تعِر الأمر أهمية من قبل فماذا عساه يكون فيها سوى الأوراق أو النقود.. لكن بعد تلك الليلة قررت فتحها.. فتحتها.. وثائق كثيرة.. شهادات.. عقود.. بطاقة مهنية.. أخذتها بسرعة.. الله أكبر.. أدهم دعاس.. من يكون.. تأملت في الصورة.. صورة جاد لكن الاسم مختلف.. تاريخ الميلاد هو.. المهنة ملازم أول.. سقطت البطاقة من يدها.. وسقطت كل ذكرياتها معها.. أعادت شريط الأحداث من أول لقاء.. المكتبة نعم لم يكن يملك بطاقة كما لم يبد اهتماما بالكتاب.. حديثه في أمور السياسة رغم أنها كانت تبدي عدم اهتمام بذلك ..كأنما كان يحاول استدراجها.. سرعة مجيئه إلى البيت وطلب يدها.. الإصرار على التعرف على أخويها.. كان موجودًا يوم زيارة إبراهيم.. ومؤيد.. نعم هي أخبرته بموعد زيارته التالية لكنه لم يأت ولم يعد لأصحابه.. في المطعم حين رأته مع الجندي .. إدعاؤه أنه لا يملك هاتفا ..أمه أين ذهبت؟

الآن فقط كشفت الغطاء عن الرجل الغامض، أو هكذا كانت تظنه .. ولكن بقي سؤال دون إجابة: من أحرق البيت بما فيه؟ كان معها في تلك اللحظة، لكن من يدري ربما أرسل معارفه ليفعلوا .. الجرم .. ولكن لماذا لم يقتلها؟ لماذا تزوجها؟

وضعت يدها على بطنها .. تمنت لو لم يكن.. فلتفجعه في ولده كما فعل هو.. لكنه ولدها أيضا .. وبأي ذنب يؤاخذ وهو لم يخرج إلى النور بعد.. فكرت في تلك اللحظة بالهرب من البيت، فهي لا تستطيع مواجهته وربما قتلها .. أعادت الأوراق إلى مكانها .. ورحلت نحو المجهول.

نظرت إلى عصام الذي كان ينام بجوارها.. لقد كتب له أن يولد في تركيا مثله مثل عشرات الأطفال الذين فرت عائلاتهم من القصف والقتل.. لا أسرة لا بيت لا وطن لا تاريخ .. ما أقسى أن يصبح المرء نكرة.. حملته بين ذراعيها وهمت بالرحيل .. فقد أدركها الليل.. ولكنها سمعت أحدهم يناديها:

- رُبى ربى .

من تراه يعرفها هنا، ثم إن الصوت مألوف لها.. لكنها لم تشأ الالتفات ..أحست بخطوات تقترب منها.. ثم يد تمسك ذراعها.

- رُبى ربى.

التفتت صوب الصوت وقد غطت نصف وجهها.

- يوك يوك، تقصد لا بالتركية، وأسرعت تعبر الشارع إلى الجهة الأخرى ، حاول اللحاق بها لكن قدوم الترام عرقله ، واختفت بين جموع الناس المقبلين والمدبرين.. أخذت تركض و تركض، إنه جاد بشحمه ولحمه .. ثم صرخت بأعلى صوتها:

- وامعتصماه .. وامعتصماه ..

الصيام بين العلم والدين

مقدمة

يمثل صيام شهر رمضان ركنًا من أركان الإسلام الخمسة. تحدّث القرآن الكريم (المصدر الأول لما يعرف بثقافة النقل في الإسلام) عن شعيرة هذا الواجب الديني في سورة البقرة. كما سنرى ذلك في الآيات القرآنية في آخر هذا المقال. أما العلم الحديث، فقد جمع الكثير من المعطيات الإيجابية المعرفية حول آثار ممارسة الصيام على البشر بواسطة التحليل العقلي (أو المعرفة الناتجة عن مدارك العقل). وهكذا، يقدم هذا المقال قول العقل والنقل بالنسبة لآثار الصيام على الإنسان.

بقلم الأستاذ الدكتور محمود الذوادي

عالم الاجتماع - جامعة تونس

العقل المسلم الجامع بين العقل والنقل:

هناك في تراث الثقافة الإسلامية الأصيلة زمالة وصداقة بين الدين الإسلامي والعلم. فالعلماء والمفكرون والفقهاء المسلمون استعملوا العقل والنقل في تشييد معارفهم وعلومهم في التراث الفكري والعلمي الإسلامي. فليست مسيرة العلامة ابن خلدون المعرفية، على سبيل المثال، استثناءً لهذا التوجه في الثقافة العربية الإسلامية العالِمة لما قبل فترة سقوط المجتمعات العربية والإسلامية تحت هيمنة الاحتلال الغربي المعاصر. إن الدرجة العالية لمشروعية تبني منهجية الجمع بين العقل والنقل (الزمالة والصداقة بين الدين والعلم) في العديد من ميادين البحث العلمي في الثقافة الإسلامية ظاهرة أصيلة في الحضارة الإسلامية. ومن ثم، يمكن اعتبار - بكل سداد في الرأي - العقل المسلم المكان الذي تلتقي فيه معرفة الوحي / النقل، من جهة، ونظيرتها العقلية/ العقل، من جهة أخرى. إن الفقيه/العالم الشهير أحمد بن تيمية (١٢٦٣-١٣٢٨) هو أكثر العلماء المسلمين دفاعًا عن مشروعية الجمع بين العقل والنقل في الثقافة المعرفية الإسلامية. فكتابه «درء تعارض العقل والنقل» خير مثال على ذلك. وهناك اليوم معالم جديدة في دنيا الفكر والعلم في الغرب ترغب وتبشر بوضع حد للطلاق بين الدين والعلم (Clayton, Simpson ٢٠٠٩). ويصح إدراج هذا التوجه الجديد في العلاقة بين العلم والدين أو العقل والنقل في رؤية فكر ما بعد الحداثيين (Lyotard ١٩٨٤) . وتماشيًا مع هذا التحول نظمت مجلة

علمية فرنسية في ٢٠١٥ ندوة دعت إليها العلماء ومثلين عن الديانات الثلاثة (المسيحية والإسلام واليهودية)، ونشرت محاضرات ومناقشات هذه الندوة في عدد خاص للمجلة (Science et Avenir-janv-fev.٢٠١٦) بعنوان: Dieu et la Science (الله والعلم). وعنون رئيس التحرير افتتاحية هذا العدد بكلمة حوارات Dialogues. تعزز تلك المعطيات المقولة المطروحة في هذه التأملات الفكرية حول مشروعية الجمع بين معرفة رصيديْ العقل والنقل في العالمين العربي والإسلامي على الخصوص.

تطبيق منظور إسلامية المعرفة:

فلنبدأ بآخر أضواء العلم الحديث التي تمدنا بآخر الاكتشافات العلمية المفيدة حول آثار خصال الصيام على المخ البشري بالتحديد.

المخ والصوم:

نشر بالفرنسية مؤلف كتاب (الصيام علاج جديد؟ *) مقالا في عدد خاص لمجلة Le Point لشهريْ فبراير ومارس ٢٠١٦ يثبت فيه الحكمة من شعيرة الصيام. نقدم هنا ترجمة وافية لمحتوى هذا المقال:

يبرهن العلم الحديث أن الصوم - الذي كان يزعج الطب الرسمي المعاصر- أصبح وسيلة مهمة لتجديد وإحياء نشاط المخ وقدراته. فظاهرة المصاحبة بين المخ والصيام كانت تبرز التآلف الكبير والمتين بين الاثنين منذ العهود الغابرة لمسيرة التاريخ الطويل للجنس البشري. فالناس الذين كانوا يعبدون القوى الطبيعية قد استعملوا الصيام لكي يتواصلوا مع القوى الخفية في الكون ثم، جاءت الأديان بعد ذلك لتجعل من الصيام سبيلا وشعيرة للقرب الروحي لهؤلاء الناس من الله. نقتصر هنا على ذكر بعض الاكتشافات العلمية الحديثة فقط حول التفاعل الإيجابي للمخ مع الصيام، والمنافع التي يكسبها المخ من ممارسة تجربة الصوم. فعلى سبيل المثال يجوز طرح السؤال التالي بهذا الصدد: هل يا ترى إن وقائع وضوح الرؤية وتوقد الذهن وبُعد النظر/البصيرة لدى الصائمين - كبعض الخصال التي يُعتقد اقترانها بالصوم - هي حقائق فيزيولوجية فعلية وحقيقية؟

تغيّر رؤية الطب الحديث للصيام

فمن جهتهم، كان أطباء عصرنا الحديث يعتبرون دائما أن الصيام أمر خطير، وبالتالي لا ينصحون به الناس. لكن الكثير من الاكتشافات العلمية طالما تكون نتيجة للصدف. وهذا ما وقع فعلا بالنسبة إلى اكتشافات آثار الصيام على المخ وخلاياه. ففي عام ١٨٨٠ قام طبيب أمريكي هو الدكتور دووي Dewey بملاحظة أساسية ورئيسية قلبت رأسًا على عقب ما ذهب إليه هؤلاء الأطباء. يتمثل اكتشاف الدكتور دووي في أن الناس الذين ماتوا جوعًا لأسباب قاهرة كانت أمخاخهم ونظم شبكاتهم العصبية في حالة سليمة بالكامل، وهو معاكس للغاية لما تعرضت له بقية كل الأعضاء في أجسام الناس الذين توفوا من قسوة الجوع. ومن اللافت للنظر بهذا الصدد أنه حتى عند الموت جوعًا، لاحظ الدكتور دووي أن النظام العضوي للمخ يبقى مزودًا بالغذاء. وهي مفارقة تدعو إلى انتباه الطب الحديث. إذ لوحظ أنه عند الحرمان من الطعام لأكثر من ١٦ ساعة، يفرز الجسم عندئذ عنصر الغلوكوز/سكر العنب لتعويض الطعام المفقود، ويبدو أن المخ يجد لذة كبيرة في ذلك حسب الدارسين للعلاقة بين الصيام وتفاعل المخ معه. قد يفسر هذا الغلوكوز المعوّض للطعام المفقود جزئيًا تحسّنَ العمليات الذهنية والفكرية أثناء الصوم. فعلى سبيل المثال لا الحصر، استطاع عالم الفيزياء الروسي فلدمير لشكوفتيف Valdimir Leshkovtiev أن يؤلف كتابا ضخمًا في حجم موسوعة كاملة في ٢١ يوما فقط من الصيام. فقد رُوي عنه أنه ذكر للكثيرين أنه لم يكن يملك أبدًا في حياته تلك القدرات الفكرية من قبل.

الصيام يحمي الأعصاب:

تركز اليوم البحوث في المجتمعات الغربية على الحماية من

أمراض تلف الأعصاب. ويبدو أن النتائج مذهلة فعلا في هذا الميدان. فقد أثبت مارك ماتسون Mark Matson من المعهد القومي للصحة في الولايات المتحدة الأمريكية أن الصيام المتقطع (أي بين فترة وأخرى) سمح لدى الفئران بالزيادة في مقاومته لمرضيْ الزايمر والبركنسون (شلل اهتزازي مع تعظم عضلي)، وذلك بإفراز عناصر بروتينية لصالح النمو وبقاء الأعصاب في حالة استمرار وتواصل في التطور والنمو. وتناسقاً مع مسيرة البحوث العلمية حول آثار الصيام على المخ، فقد بيّن أخيرا نجم علوم الشيخوخة فلتر لنجو Valter Lango أن صيام خمسة أيام كل ثلاثة شهور يعمل لصالح تنشيط وبث أكثر حياة في أعصاب مخ حصان البحر، هذا الكائن الذي يشبه نصفه الأعلى الجواد والآخر السمكة. وهكذا يتضح أن الصوم يمثل وسيلة قيمة لتجديد تنشيط شبكة الأعصاب في المخ.

حكمة الصيام لأعز ما في الإنسان:

فبعد ما رأيناه من حكمة فيزيولوجية وعصبية في الصيام بالنسبة للمخ أعز معلم في عمارة جسد الإنسان، ليس لأنه هو القائد المشرف على عملية التنسيق بين أعضاء عمارة الجسد فحسب، وإنما لأنه مركز إنسانية الإنسان نفسها والمتمثل في ما نسميه في مصطلحنا في العلوم الاجتماعية: البعد الثالث للإنسان أو منظومة الرموز الثقافية: اللغة والفكر والعلم والدين والقيم والأعراف الثقافية التي يتميز بها الجنس البشري عن غيره من الأجناس على وجه الكرة الأرضية، ويتفوق بها على بقية الأجناس الأخرى في إدارة ما يجري على سطح الأرض وفي السماء، مما يجعله وحده حقًا الخليفة في الأرض، كما ورد في الآية القرآنية : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة».

حديث القرآن عن فريضة الصوم:

بعد أن رأينا باختصار كيف أبرزت الاكتشافات العلمية الأخيرة (رصيد معرفة العقل) منافع الصيام على المخ وخلاياه ومداركه الذهنية، دعنا الآن نقرأ في القرآن الكريم (النقل) كيف تحدّثت آياته عن شعيرة فريضة الصوم في شهر رمضان بالنسبة للمسلمين. يجوز القول إن تلك الاكتشافات العلمية الجديدة المشار إليها لصالح منافع المخ من الصيام تمثل تصديقًا لما جاء في إحدى آيات القرآن الكريم الملخّصة لمنافع الصيام المتعددة للجسد وللأنشطة الذهنية والفكرية للمخ التي يتميز بها الإنسان عن بقية الكائنات «... وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون» (البقرة : ١٨٤).

أما النص الكامل للآيات القرآنية حول خصال الصيام والظروف المعيقة للقيام به فتلخصها ثلاث آيات طويلة من سورة البقرة: « يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (١٨٣) أياما مّعدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أُخر وعلى الذين يُطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوّع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون (١٨٤) شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون» (البقرة).

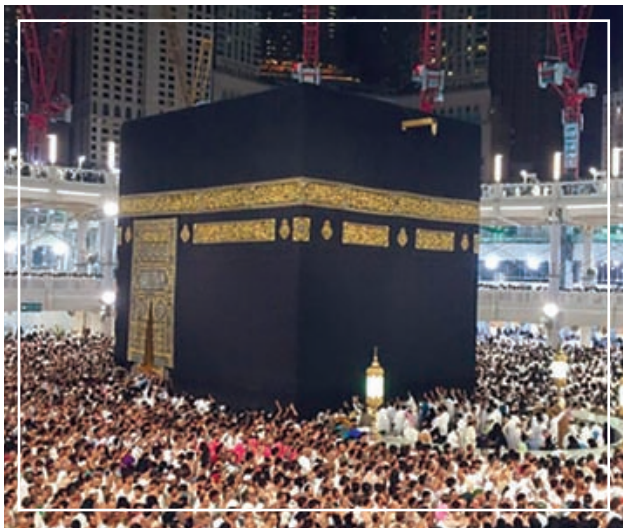

*Delestrade,Thierry/ Le jeûne, une nouvelle thérapie ?Arte Editions/ La Découverte

Clayton, P. & Simpson, Z.(Eds) (٢٠٠٩) The Oxford Handbook of Religion and Science, Oxford, Oxford University Press.

Lyotard,J-F (١٩٨٤) The Postmodern Condition , Minneappolis, University of Minnesota Press

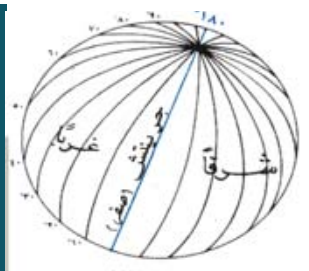

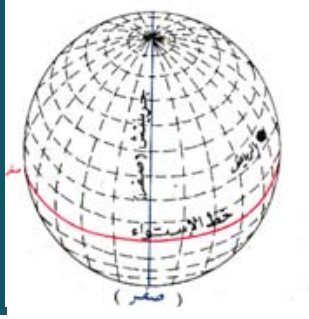

إن مسألة توحيد الصيام من المسائل التي عولجت قديما وحديثا ومع ذلك يتكرر السؤال عنها كل سنة عندما يحين موعد دخول شهر رمضان، ولم يتوصل العالم الإسلامي إلى رؤية موحدة في ذلك مع تطلعه إلى ذلك، نظرا لكونها مظهرًا من المظاهر التي تعبر عن الوحدة، والسؤال لماذا لم يتحقق هذا الحلم؟ وهل هناك أمل في تحققه مع وجود وسائل تعين على ذلك؟ وما هي العقبات التي تحول دونه؟

توحيد الصيام والأعياد
والعقبات التي تحول دون ذلك

بقلم: د. محمد تاج العروسي

ولعل الإجابة عن هذه الأسئلة تقتضي دراسة واقع العالم الإسلامي في الماضي والحاضر، إضافة إلى الخلافات الفقهية، والأدلة التي استند إليها كل فريق.

أولا: وصل العالم الإسلامي الآن إلى أرجاء الأرض المعمورة التي انقسمت إلى قارات عديدة، وأخذ تطبيق الإسلام مظهرًا عاما في معظم تلك القارات، ووصل البعد الذي كان يتحدث عنه الفقهاء قديما إلى أضعاف ما كان عليه سابقا، فمسافة شهر أو شهرين أو ثلاثة التي تحدث عنها الفقهاء في السابق ما هي إلا عبارة عن ساعة أو ساعتين أو ثلاث بالطائرة، مما يجعل اعتبار اختلاف الفقهاء في المسافة التي يعتبر فيها اختلاف المطالع في السابق وتطبيقها على الوضع الحالي أمرًا بعيدا عن الواقع.

ثانيا: إن مسألة الرؤية البصرية التي علق الشارع بها الصوم والفطر تفاوتت فيها مفاهيم الناس فيما إذا كان المعتبر رؤية كل فرد، أو جماعة، أو بلد، أو الاكتفاء برؤية أي فرد أو بلد.

ثالثا: الاختلاف قائم في جواز الاعتماد في ثبوت الرؤية على أقوال علماء النجوم والحساب.

وفيما يلي تفصيل هذه الجوانب مع بيان ما هو الأرجح والأقوى حسب الأدلة.

أولا: مفهوم اختلاف المطالع واتحاده:

يقصد باختلاف المطالع أن يكون طلوع الفجر أو الشمس أو الكواكب، أو غروبها في محل متقدما على مثله في محل آخر، أو متأخراً عنه فتتأخر رؤيته في بلد آخر أو تتقدم عليه.

ويقصد باتحاد المطالع: أن لا تزيد المسافة التي بين البلدين على عشرين فرسخا من أي جهة كانت، أي بأن تكون أقل من ذلك، أما إذا كانت مسافة ما بين البلدين كذلك كان مطلعهما مختلفا.

ويحدث اختلاف المطالع بسبب اختلاف عروض البلاد ـ أي بعدها عن خط الاستواء ـ إلى الجنوب، أو الشمال، أو اختلاف أطوالها ـ أي بعدها عن ساحل البحر المحيط الغربي، أو عن مبدأ العمارة في الغرب إلى جانب الشرق، ويقدر الجغرافيون اليوم بـ ١٨٠° خط في الشرق، و١٨٠° خط في الغرب عن خط جرينتش. فمتى تساوى طول بلدين لزم من رؤيته في أحدهما رؤيته في الآخر، وإن اختلف عرضهما، أو كان بينهما مسافة شهور، أو كان أحدهما في أقصى الجنوب والآخر في أقصى الشمال.

ومتى اختلف طول البلدين امتنع تساويهما في الرؤية، فمعنى ذلك أن البلدين المتفقين في الطول قد تكون رؤية الهلال بعد الغروب ممكنة في جميعها من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، إن لم يكن هناك قتر، ولا غيم أو غيرهما مما يحجب الرؤية، ويمكن ذلك غالباً عندما يكون القمر في وسط السماء، أي ليس له عرض، أما إذا كان القمر في عرض الشمال، قد لا يمكن ذلك في الجنوب، وكذا العكس، أي إذا كان القمر في عرض الجنوب قد لا يمكن ذلك في الشمال.

البلدان المتفقة في العرض يلزم من رؤيته في الشرقية رؤيته في البلدان الغربية، حتى ولو اختلفت في الطول، إلا إذا كان هناك اختلاف في الطول والعرض معا فيصعب حينئذ تحقق الرؤية في تلك البلدان.

وتأثير العرض في الفروق أكثر من تأثير الطول فيه.

أسباب اختلاف الرؤية:

لاختلاف رؤية الهلال في العالم الإسلامي بعد غروب الشمس أسباب منها:

اختلاف البلاد في العرض شمالا وجنوبا، قلة وكثرة، ومنها اختلافها في الطول، وكثرة البعد بين الشمس والقمر وقت الغروب، وبُعد الاجتماع وقلته، وكثرة عرض القمر وقلته، وكونها شمالا، أو جنوبا.

(انظر حاشية الترمسي على شرح ابن حجر مقدمة با فضل ٤/ ١٦٦، أطلس العالم ص ٩).

هذا خلاصة ما يتعلق بالجواب الأول، أي أن تحقق الحلم ممكن شرعيا وفلكيا، ولكنه صعب واقعيا؛ لأن مسألة اختلاف الناس في بداية صوم شهر رمضان ونهايته، يصعب على الإنسان أن يعرف الأسباب الحقيقية وراء ذلك، وأضرب لكم بعض الأمثلة من التجارب التي مرت عليَّ ولم أجد لها تفسيرا، فعندما كنت صغيرا وقبل أن أخرج من بلدي (إثيوبيا) كنت أسمع أن قبيلة فلان وفلان صامت يوم كذا وأفطرت يوم كذا، فهذه القبائل أصبحت معروفة لدى جميع الناس أنها تصوم دائما قبل الناس، وتفطر قبلهم، ويعللون ذلك بأنها تصوم بالحساب، والعجيب أن أكثر أهلها أميون لا يقرؤون ولا يكتبون إن لم يكن كلهم، ويعيشون في الريف ومزارعون ليس لديهم فقه في أمر الدين إلا الشيء اليسير، فضلا عن كونها تعرف علم الحساب، وقد شغلني هذا الأمر حتى بعد خروجي من البلد؛ لأن تلك القبائل لا تزال إلى يومنا هذا تنفرد عن باقي المسلمين في الصوم والفطر.

الأمر الثاني: عندما سافرت إلى باكستان للعمل في مجال التدريس بالجامعة الإسلامية العالمية رأيت أهلها يتأخرون في بداية شهر الصيام يوما أو يومين، وكذلك في الفطر، ويعللون ذلك بعدم رؤية الهلال، بينما هناك مناطق منها " مثل بشاور" تصوم برؤية المملكة وتفطر معها، وعلى مدى السنوات التي عشتها هناك لم أر باكستان تصوم مع عامة المسلمين ولو مرة واحدة، وإنما يحدث تأخر يوم أو يومين، وهذا الأمر ينطبق على الهند وبنغلاديش وبعض الدول في شرق آسيا فيحدث لدى المسلمين في هذه البلدان تأخر عن عامة المسلمين في الصيام والإفطار.

والسؤال الذي لم أجد له جوابًا شافيا، هل أن هذه الدول لا تعتبر إلا برؤيتها؟ أم أن الرؤية لا تثبت عندها إلا بعد رؤية العالم الإسلامي برمته؟ علما بأن موقعها الجغرافي لا يختلف عن موقع معظم الدول الإسلامية والعربية، بل تشترك معها في خطوط الطول والعرض أو في أحدهما، وتشترك معها كذلك في الطلوع والغروب والزوال.

ومما يزيد الأمر غموضًا أن جاليات هذه البلدان الموجودة في أوروبا وأمريكا تحرص على الصوم والإفطار مع صوم وإفطار بلدها الأصلي، مهما يكن الأمر بينما أغلب الجاليات الأخرى في تلك الدول تحرص على الصوم والفطر مع المملكة أو غيرها من الدول الإسلامية، ولا تربط صومها أو فطرها ببلدها الأصلي، وتفضل غالبا رؤية المملكة باعتبار أنها قبلة المسلمين وأن رؤيتها هي رؤية لجميع المسلمين مع مراعاة اختلاف الوقت، حيث إن ولادة القمر تتم مرة واحدة، وإن كان يختلف رؤية ذلك حسب توافق الدول وعدمه في خطي العرض والطول.

الأمر الثالث: عندما كنت في أمريكا دخل شهر رمضان علينا ونحن في مدينة سياتل التي تقع في الشمال الغربي من الولايات المتحدة الأمريكية وتطل على المحيط الهادئ، وحصل خلاف بين الإمام وأهل المسجد هل يصومون مع السعودية أو غيرها من الدول، فالأغلبية رجحت الصوم مع رؤية السعودية، والباقون رأوا الصوم مع أي رؤية تثبت في أي بلد بغض النظر عن الاتفاق في خطوط الطول والعرض، مع تلك الدولة التي أعلنت الرؤية، والمشكلة أن الخلاف حدث في هذا المسجد بين الإمام والمصلين، فالإمام أصر على الصوم مع أي رؤية تثبت والمصلون

خالفوه. فهكذا انقسموا إلى قسمين. فصام الإمام مع بعض الأفراد قبل عامة المصلين معه. وهناك يصعب فهم حقيقة هذا الخلاف علما بأن له آثارا سلبية وخاصة عندما يكون بين جماعة واحدة يسكنون في حي واحد. ويصلون معا في مسجد واحد.

المسألة الثانية: الاختلاف في اعتبار أقوال علماء النجوم والحساب في الصوم:

اقتضت الحكمة الإلهية ربط رؤية الصوم بالرؤية البصرية. فمن هنا أجمع العلماء على وجوب التماس هلال رمضان وشوال لقوله صلى الله عليه وسلم: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته" فعلق الصوم والفطر على الرؤية البصرية بالفعل. أما الاعتماد على أقوال أهل الحساب والنجوم فذهب جمهور العلماء إلى عدم جوازه. بحجة أن ذلك من علم الغيب الذي اختص الله به. ولقوله صلى الله عليه وسلم: "إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا" يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين.

وهناك فريق من العلماء يرى جواز الاعتماد في الصوم والفطر على أهل الحساب ومعرفة النجوم استدلالا بعموم قوله تعالى: "وعلامات وبالنجم يهتدون"وقوله تعالى: "هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نورًا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب" فقالوا: إن علم النجوم الذي يعرف به السنون والشهور. وأوقات الصيام والحج مما أمر الشارع بتعلمه وحث عليه. فهو مما يدل على وحدانية الله ومعرفته. أما الذي نهى الشارع عنه فهو الاستدلال به على موت فلان ونزول مطر وغيرهما من الأمور الغيبية التي لا يطلع عليها إلا الله. وفرق بين هذا وذاك.

والملاحظ هنا أن بعض الدول تجعل الأخذ بعلم الحساب هو الأصل فتصوم سواءً رأت الهلال أم لم تره. بينما الخلاف القائم بين أهل العلم جواز الاستئناس به. دون الاعتماد عليه كليا. فأكثر من يصوم بالحساب لا يحرص على ترائي الهلال والتأكد منه فيقولون نحن من أهل الحساب. وكأن علم الحساب معتبر شرعًا في دخول شهر رمضان. وهذا خلاف ما عليه الجمهور وما تفيده النصوص. والفرق دقيق. والأمر يحتاج بيان ذلك لكثير من المسلمين وخاصة الأقلية المسلمة التي ترى الصوم بإعلان أي دولة مسلمة بالصوم دون معرفة ما اعتمدت عليه هل الرؤية أم الحساب وحده.

المسألة الثالثة: هل الاعتبار رؤية كل بلد أو فرد على حدة. أم يُكتفى برؤية البلد الواحد أو الأفراد؟ وهذا الاختلاف له تعلقٌ كبير باختلاف في اعتبار المطالع وعدمه. فالذين يرون عدم اعتبار اختلاف المطالع قالوا بوجوب الصوم على جميع المسلمين عامة بثبوت رؤية الهلال في بلدٍ ما من بلدان المسلمين. وهو المعتمد عند الحنفية. غير أن كثيرا من متأخري الحنفية. أو المقلدين لأبي حنفية لا يلتزمون بهذا الرأي. وهو الراجح أيضا عند الحنابلة. وهو المذهب عند المالكية. وإن كان المشهور عندهم خلاف ذلك. وهو الرواية الضعيفة عند الشافعية. واستدلوا بعموم قوله تعالى: "فمن شهد منكم الشهر فليصمه" فلفظ "شهد" لم يقصد به الرؤية؛ لأن الأعمى والبصير يستويان في إيجاب الصوم. وإنما المراد بالشهود الحضور. والمعنى فمن حضر رمضان أي أدرك فرضه وهو أهل للتكليف وجب عليه الصوم. ولأن قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "صوموا لرؤيته. وأفطروا لرؤيته..." خطاب عام لكل الناس. والأمر فيه معلق على مطلق الرؤية. وهي تصدق برؤية أي جماعة. أو فرد تقبل شهادته. فالخطاب متعلق عمومًا بمطلق الرؤية.

وهناك جمع غفير من العلماء يرون اعتبار اختلاف المطالع في البلدان والأماكن البعيدة. واستدلوا بعموم حديث: "صوموا لرؤيته. وأفطروا لرؤيته فإن غُبِّي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما" فقد أناط الرسول صلى الله عليه وسلم وجوب الصوم والفطر على المسلمين برؤيتهم الهلال. وهذا وإن كان خطابا لجميع الأمة. فالصوم والفطر يكونان عند وجود السبب الذي هو الرؤية. فالأمة التي ترى الهلال يلزمها الصوم والإفطار لوجود السبب. وأما التي لم تتحقق عندها الرؤية فلا يلزمها الصوم ولا الفطر لتخلف السبب كمواقيت الصلاة فإن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بإقامة الصلاة لدلوك الشمس وهو زوالها. فيتحقق الزوال في المدينة بدخول وقت صلاة الظهر مثلا. ولا يلزم منه دخول وقت صلاة الظهر لمن في جهة الغرب حتى يوجد عندهم دلوك الشمس. فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "صوموا لرؤيته" فعلق الحكم بالسبب الذي هو الرؤية. فقد توجد الرؤية في بلد. ويكون هذا الوقت نهارًا عند الآخرين. فكيف يؤمرون بالصيام ولم يتحقق السبب بالنسبة لهم.

ومن الأدلة التي استند إليها هذا الفريق حديث كريب مولى ابن عباس: "أن أم الفضل بعثته إلى معاوية بالشام فقال: قدمتُ الشام فقَضَيت حاجتها. واستهل عليَّ رمضان. وأنا بالشام. فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر. فسألني ابن عباس. ثم ذكر الهلال فقال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة. فقال: أنت رأيته؟ فقلت نعم. ورآه الناس. وصاموا وصام معاوية. فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت. فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه. فقلت: أولا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا. هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ... محل الشاهد قوله" هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم» . إذ فيه تصريح برفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأمره به فهو حجة على أن البلاد إذا تباعدت عن بعضها كتباعد الشام من الحجاز. فالواجب على أهل كل بلد أن يعمل على رؤيته دون رؤية غيره. وردُّ ابن عباس إنما هو لعدم ثبوت حكم الرؤية في حق البعيد. ولكون الأقطار مختلفة المطالع. ولأن الشارع بنى على اختلاف المطالع كثيرًا من الأحكام على الدوام. كاختلاف أوقات الصلاة. ووقت الحج. ومعرفة من تقدم موته أو تأخر في المواريث وغير ذلك من المسائل.

فتح مكة ومظاهر عفو رسول اللّه ﷺ وسماحته مع أعدائه

د. أحمد عبد الحميد عبد الحق

كاتب وباحث من جمهورية مصر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا ورسولنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، وبعد.

فقد كان صلح الحديبية الذي عُقِد في السنة السادسة للهجرة بين المسلمين ومشركي قريش ينص في أحد بنوده على أن من شاء من القبائل العربية الساكنة حول الحرم أن يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأن القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين تعد جزءاً من ذلك الفريق تلتزم ببنوده، وأي عدوان تتعرض له أي من تلك القبائل يعد عدواناً على ذلك الفريق، وحسب هذا البند دخلت خُزَاعَة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وصار كل من القبيلتين في أمن من الأخرى.

ولكن بعد مضي نحو سبعة عشر أو ثمانية عشر شهرًا من عقد المعاهدة وإرساء الهدنة بين الطرفين قام بنو بكر (حلفاء قريش) بالاعتداء على خزاعة، وبدلا من أن تكفهم قريش عن هذا الاعتداء الخارق لبنود المعاهدة أعانتهم بالسلاح، بل قاتل معهم رجال من قريش مستغلين ظلمة الليل.

فلما كثر القتل في بني خزاعة فزعوا إلى المسجد الحرام ليحتموا به؛ فالقتال فيه محرم، ولكن بنو بكر المعتدين لم يراعوا للحرم حرمته، وأخذ من في قلبه ورع وخشية يقول لزعيمهم نوفل بن معاوية الديلي: يا نوفل، إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك (محذرين له) فقال كلمة عظيمة (لا إله اليوم يا بني بكر) محرضًا إياهم على مواصلة القتال داخل الحرم (انظر سيرة ابن هشام: ج٥ ص ٤٢ وما بعدها).

فلما اشتدت وطأة القتال على خزاعة خرج أحد زعمائها وهو عمرو بن سالم الخزاعي سرًا مع بعض أتباعه إلى المدينة؛ ليشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلته بنو بكر وقريش بأهله، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدث لحلفائه بني خزاعة غضب غضبا شديدا لهذه الجريمة الشنعاء ؛ ففضلا عما فيها من نقض للعهد الذي أعطته له قريش ، فإن فيها اعتداءً على حرم بيت الله سبحانه وتعالى الذي جعله لكل المخلوقات أمنا وسلاما ؛ لذلك قال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لأمنعنهم مما أمنع منه نفسي وأهل بيتي».. ثم نظر إلى عمرو وقال : «نصرت يا عمرو بن سالم» (المقريزي: إمتاع الأسماع ١٣/ ٣٧٣).

وليكون وفيا بعهده بعث إلى زعماء قريش ـ كما ذُكر عن ابن عمر ـ رجلا يسمى ضمرة يذكرهم بالعهد الذي كان بينهم،

ويخيرهم بين إحدى ثلاث: أن يدفعوا دية قتلى خزاعة، وبين أن يبرءوا من حلف بني بكر، أو ينبذ إليهم على سواء (أي يكون العهد معهم منتهيا) فردوا عليه قائلين: «ننبذ على سواء». (تاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص ٣٠٨).

وبعد هذا الرد لم يكن أمامه صلى الله عليه وسلم بدٌ من غزوهم؛ نصرة لحلفائه بني خزاعة ووفاء للعهد بينهم.

ولم يتمهل كثيرًا، وإنما دخل من فوره على زوجته عائشة ـ رضي الله عنها ـ وأمرها أن تجهزه وتخفي ذلك، ثم خرج فأمر الناس بالتجهز للخروج إلى الغزو، دون أن يحدد لهم الجهة التي يريدها.

ثم بعث أناسا إلى القبائل العربية حول المدينة ينادون: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان في المدينة» فاجتمع له من المجاهدين عشرة آلاف، وقيل اثنا عشر ألف مقاتل.

وأحست قريش بعد ذلك بالندم على فعلتها وسوء ردها، واستقر رأي زعمائها على أن يرسلوا أبا سفيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعرف منه على ما يريد فعله بعد علمه بالاعتداء على حلفائه، فأتاه في المدينة يسأله تجديد العهد، فلم يجبه صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لم ير من قريش الجادة، فكما نقضوا عهدهم أول مرة سينقضونه ثانية إذا رأوا منه صلى الله عليه وسلم اللين، ورجع أبو سفيان دون أن يعلم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنه سعى حثيثا لاستكشاف الأمور من بعض الصحابة بمن فيهم ابنته أم حبيبة زوج رسول الله.

وفي العاشر من شهر رمضان المبارك سنة ٨ هـ تحرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه بعد أن استخلف على المدينة أبا رُهْم الغفاري، وفي الطريق أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، ثم قال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها» (السيرة لابن حبان : ج١ ص ٣١٥).

وكان قصده صلى الله عليه وسلم من كتمان الخبر ألا يعطي فرصة لقريش فتستعد للقائه؛ فيحقق النصر الذي يريده بأدنى خسارة من الطرفين.

وحدث أن كتب أحد المهاجرين وهو «حاطب بن أبي بَلْتَعَة» كتابًا إلى بعض أهل مكة يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، ثم أعطاه امرأة، وجعل لها جُعْلاً على أن تبلغه لهم، فجعلته في قرون رأسها ثم خرجت به، فأتي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صنع حاطب، فبعث علياً والمقداد والزبير بن العوام وأبا مَرْثَد الغَنَوي ـ رضي الله عنهم ـ وقال لهم: «انطلقوا حتى تأتوا رَوْضَةَ خَاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب إلى قريش» فانطلقوا مسرعين حتى وجدوا المرأة في المكان الذي حدده رسول الله، فاستنزلوها وقالوا: معك كتاب؟ فقالت: ما معي كتاب، ففتشوا رحلها فلم يجدوا شيئاً، فقال لها علي رضي الله عنه: أحلف بالله، ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا، والله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد منه قالت : أعرض عني (لكي لا يرى شيئا منها وهي تكشف رأسها) فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليهم، فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه: «من حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش» يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً، فقال: «ما هذا يا حاطب؟» فقال :لا تعجل علي يا رسول الله، والله إني لمؤمن بالله ورسوله، وما ارتددت ولا بدلت، ولكني كنت امرأ مُلْصَقًا في قريش؛ لست من أنفسهم، ولي فيهم أهل وعشيرة وولد، وليس لي فيهم قرابة يحمونهم، وكان من معك له قرابات يحمونهم، فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي».

وقد ظن هذا الرجل أن لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بقريش سيكون مجرد مواجهة تحصل بين الطرفين ويعود كل فريق إلى بلاده، فطمع في كسب ود قريش ليرفقوا بأهله في جوارهم؛ ولهذا عفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسامحه، وعندما هم بعض الصحابة أن يعاقبه بتهمة الخيانة رفض صلى الله عليه وسلم رأيهم وقال: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ممن ينسى للناس بلاءهم وفضلهم، ولم يكن ممن يعاقب أتباعه على كل عثرة يقعون فيها، وهكذا ينبغي أن يكون كل حاكم ومسؤول مسلم يطمع في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في التعامل مع رعيته، يقيل عثراتهم ويتذكر فضائلهم، ولا يسمح لأحد من مقربيه بالنيل منهم.

وقد اكتفى صلى الله عليه وسلم بما وجهه الله عز وجل من عتاب لهذا الرجل في قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة...» (سورة الممتحنة: آية ١) .

ويبدو أن خبر زحفه صلى الله عليه وسلم قد سبقه إلى مكة قبل أن يصلها، ولكن بعد فوات الأوان، فلم يكن أمام قريش فرصة لتستجمع قواها، وتعد خطة للدفاع، فبدأ يخرج إليه من كان يكتم إيمانه أو من كان مترددا ثم بدا له الحق.

وكان ممن خرج إليه عمه العباس بن عبد المطلب حيث لقيه بمكان يسمى «الجُحْفَة» هو وأهله، ثم جاءه ابن عمه أبوسفيان بن الحارث، وابن عمته عبد الله بن أبي أمية، وكان قد نزل بمكان يسمى «الأبواء» فلما استأذنا ليدخلا عليه أعرض عنهما أولا؛

لما كان يلقاه منهما من شدة الأذى والهجاء قبل الهجرة، فقالت له زوجته أم سلمة رضي الله عنها: يا رسول الله، ابن عمّك وصهرُك، فقال: «لا حاجة لي بهما، أمّا ابن عمّي فهتك عرضي (يقصد هجاءه بشعره) وأمّا ابن عمّتي وصِهري فهو الذي قال بمكة ما قال(يعني قوله له: والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما إلى السماء فتعرج فيه، وأنا انظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله أرسلك). (سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٠).

فقال أبو سفيان بن الحارث: والله ليأذنن لي أو لآخذنّ بيد ولدي هذا، ثم لنضربنّ في الأرض حتى نموت جوعاً وعطشاً، فرق لهما حينئذ، وعفا عنهما وسامحهما على كل ما بدر منهما من إيذاء خلال فترة الدعوة التي قاربت عشرين عاما؛ ليكون مثالا لكل مسلم في العفو عند المقدرة، ثم أذن لهما بالدخول عليه وأعلنا إسلامهما.

وهذا الموقف النبيل منه صلى الله عليه وسلم جعل قلبيهما يتحولان للضد، فصارا من خيرة الصحابة بعد ذلك، حتى قيل عن أبي سفيان بن الحارث أنه ما رفع وجهه في وجه رسول الله بعد إسلامه؛ حياءً مما كان يفعله به من قبل، وشهد له صلى الله عليه وسلم بالجنَّة، وقال: «أرجو أن يكونَ خَلفاً من حمزة» ولما حضرته الوفاة، قال: لا تبكوا عليَّ، فوالله ما نطقتُ بخطيئة منذ أسلمتُ. (ابن سيد الناس: عيون الأثر : ج٢ ص ٢٢٣).

وواصل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيره وهو صائم، والناس صيام، حتى إذا بلغ مكانا يسمى «الكَدَيْد» قرب مكة أفطر، وأفطر الناس معه؛ أخذا برخصة الفطر للمسافر أو المجاهد، ثم واصل سيره حتى نزل بمكان يسمى «مر الظهران» وقد نزله عشاء، وهنالك أمر أفراد الجيش بأن يوقد كل مقاتل النيران، فأوقدت عشرة آلاف نار في الساحة التي نزلوها، وذلك كي يبثوا الرعب في قلوب أهل مكة فلا يجرؤون على التصدي لهم.

وفي تلك الأثناء قد جاءه أبو سفيان بن حرب ـ سيد الوادي كما كان يقال ـ وبديل بن ورقاء، وحكيم بن حزام؛ ليبايعوه على الإسلام بعد عداوة دامت عشرين سنة، فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ترحيب، وقد سُر بمجيئهم، ونسي ما كان بينه وبينهم، ولماذا لا ينسى ؟! إنه ما عاداهم إلا من أجل إصرارهم على التصدي للإسلام ومناصرة البغي والاستبداد، أما وقد أسلموا فليمنحهم الحب والعطف والعفو والصفح الذي أودعه الله في قلبه.

وفي صباح اليوم التالي قسم صلى الله عليه وسلم جيشه إلى أربع فرق، فرقة جعل إمارتها تحت قيادة الزبير بن العوّام، وأمرها أن تدخل مكة من جهة المشرق، وفرقة تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح، وأمرها أن تدخل من جهة الشمال، وفرقة تحت قيادة سعد بن عبادة، وأمرها أن تدخل من جهة الغرب، وفرقة تحت قيادة خالد بن الوليد، وأمرها أن تدخل من جهة الجنوب، وحدد لهم مكانا يلتقون فيه داخل مكة.

وقصد صلى الله عليه وسلم من ذلك ـ والله أعلم ـ أمرين:

الأول: أن يقطع على قريش الأمل في التجمع لصده أو منعه من دخول مكة.

والثاني: هو إتاحة الفرصة لجنوده بالدخول دون تزاحم، وبذلك يتحاشى وقوع أي ضرر أو إفساد قد ينجم عن تحرك الجيش الكثير العدد داخل شوارع مكة.

كما أن تقسيم الجيش إلى فرق يسهل مهمة السيطرة عليها.

ثم وجه أمره لسائر الجنود بألا يريقوا شيئاً من الدماء، وألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، أو من ارتكب جرائم ضد المسلمين تستوجب عقوبة القتل (وهؤلاء قد سماهم بالاسم، ثم عاد فعفا عنهم إلا أربعة نفر).

وتحرك الجيش رافعا صوته بالتكبير والتهليل، تكبير الله عز وجل الذي رد نبيه صلى الله عليه وسلم إلى مكة بجيش عدد أفراده اثنا عشر ألفا، بعد أن أخرج منها لا يرافقه إلا أبو بكر الصديق، وصدق الله وعده حيث قال له: «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد» (القصص : ٨٥).

وصار دخوله آية لكل مستضعف من أهل الحق على أن الله جاعل لنصرته معادا هو آت لا محالة، وإن بدا أمامه أن الكفر أو الشر لا سبيل لمواجهته، وإن ظهر أمامه أن الشرك أو الشر قوة لا تقهر، آية على أن المستضعف اليوم قد يمكن له في الغد.

وفي نشوة النصر تذكر بعض المسلمين ماضي زعماء قريش وعنادهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتآمرهم على قتله، واضطهادهم للمسلمين، فانتظروا المصير المؤلم الذي قد يقع بهم، فقال سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ وكان يحمل راية الأنصار: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرْمَة، اليوم أذل الله قريشاً. (السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٢٠٣).

وصادف أن سمعه أبو سفيان فأسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله أمرت بقتل قومك؟! فإن سعدا زعم ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا، أنشدك الله في قومك فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم (ابن كثير: البداية والنهاية ج٤ ص ٢٩٠).

وأبو سفيان رغم أنه أسلم منذ قليل إلا أنه لم ينسَ قومه الذين جعلوه سيدا عليهم من قبل، لم ينس أن يسعى لحقن دمائهم وإن كانوا كافرين، ولم يكن أمثال القادة الذين يحتمون بشعوبهم فإذا دارت عليهم الدائرة طلبوا الأمان لأنفسهم

وضحوا بجميع من تحتهم، ولم يكن رسول الله بأقل من أبي سفيان في حرصه على حقن دماء القرشيين أعداء الأمس، فقال صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان: «بل اليوم يوم تُعَظَّم فيه الكعبة، اليوم يوم أعز الله فيه قريشاً» وأرسل من توه إلى سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ فأخذ منه راية الأنصار، ودفعها إلى ابنه قيس بن سعد، وجعله الأمير خلفا له، ولم يشأ صلى الله عليه وسلم أن يجعلها في يد أحد غير ابنه فيحز ذلك في نفسه، وتلك أبلغ الحكمة في تصرف القائد في الأمور الحساسة الدقيقة.

وبعد ذلك أرسل صلى الله عليه وسلم أبا سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ـ رضي الله عنهم ـ ليدعوا أهل مكة إلى الإسلام، ويطمئنوهم على أنه لن ينالهم من رسول الله مكروه إن هم تحاشوا الصدام معه، وخلوا بينه وبين دخول مكة، وأوصاهم أن يعلنوا حالة منع التجول لحظة دخول الجيش، حيث طلب منهم أن ينادوا في الناس: «أن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن؛ لأنها كانت بأعلى مكة، فيسهل أن يدخل بها أهل البوادي أو من خرجوا للرعي بالجبال، ويصعب عليهم العودة إلى مساكنهم، ومن دخل دار حكيم فهو آمن، وكانت بأسفل مكة، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن أغلق على نفسه داره فهو آمن (ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ٢٨٩).

واستجاب أهل مكة لدعوة أبي سفيان وحكيم وبديل، فخلوا الطرق لرسول الله، ولم يتصد لجيوشه الأربع سوى مجموعة من الأوباش، جمعهم صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل مع بني بكر، تعرضوا لخالد بن الوليد عند دخوله من أسفل مكة، حتى إذا اشتد عليهم القتال فروا من أمامه، وتفرقوا إلى ديارهم، فلما وصل الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «يا خالد لمَ قاتلت، وقد نهيتك عن القتال»؟ قال: هم بدأونا بالقتال، ووضعوا فينا السلاح، وأشعرونا بالنبل، وقد كففت يدي ما استطعت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قضاء الله خير» (الكلاعي : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء ١/ ٥٠٨).

ونجحت خطة رسول الله المحكمة، إذ دخل مكة فاتحا بأقل خسارة، فلم يُقتل من المسلمين سوى رجلين ضلا الطرق، وتاها عن جيش خالد، وأما المشركون فكان عدد من قتل منهم أمام جيش خالد بضعة وعشرين رجلا، وكانوا قد أصروا على المواجهة.

وكان دخوله صلى الله عليه وسلم لعشر بقين من رمضان (يناير سنة ٦٣٠ م) دخولا يتلاءم مع عظمته وسمو أخلاقه، حيث علاه التواضع حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، وأحنى رأسه على دابته، حتى إن شعر لحيته ليكاد يمس عنق الدابة، وأخذ يردد «اللّهم إن العيش عيش الآخرة» (محمد بن يوسف الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٥/ ٢٢٦) وعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون٣/ ١٢٢).

ونظر إليه في هذا اليوم رجل ـ ولم يكن يعرفه من قبل ـ فتخيل أنه كسائر الملوك، فأخذته الرعدة فقال له رسول الله: «هون عليك، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة» وقال: «إنما أنا عبد (أي إنسان مثل سائر الناس) آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد».

ولم يجلس رسول الله بعد دخول مكة لاستقبال التهاني، ولم ينصب السرادق، ويقيم الحفلات الساهرة، وإنما اتجه فور دخوله إلى المسجد الحرام، فطاف بالكعبة شاكرا الله على أن أتم عليه النعمة، وأخذ ينظر إلى الأصنام المنصوبة حولها ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» (سورة الإسراء: الآية ٨١).

وبعد أن فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت، ورفع يديه، وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو، ثم دعا بعثمان بن طلحة الذي كان يحمل مفاتيح الكعبة فأخذها منه، وأمر بالكعبة ففتحت فدخلها، وأزال منها آثار الوثنية التي صنعها بها المشركون، وصلى بها ركعتين ثم دار فيها، وكبر في نواحيها ووحد الله، ثم خرج ووقف على بابها وخطب الناس فقال:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده... يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» (السهيلي: الروض الأنف ٧/ ٢٣١).

فإذا كانت قريش كانت ترى في الجاهلية أنها فوق العرب بمجاورتها للبيت الحرام، وإذا كان بعض الناس يرى نفسه بما أوتيه من مال أعلى من منازل باقي الناس، فإن الإسلام جعل الناس على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وجنسياتهم وحالاتهم المادية سواسية؛ لأنهم جميعا يرجعون في النسب إلى أب واحد، والله لم يفرق بينهم في أسلوب المعاش إلا ليتعاونوا ويتبادلوا المنافع، وأما في الآخرة فالمقياس الوحيد لمنازل الناس هو التقوى.

واستطاع صلى الله عليه وسلم بوحي الله أن يزيل الفوارق بين الناس على اختلاف طبقاتهم، وصار أبو سفيان سيد الوادي وبلال بن رباح العبد الحبشي سواء، بل صار بلال بسبقه

إلى الإسلام مقدما على أبي سفيان وغيره.
ثم استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن استقر به الأمر بمكة مشركي أهلها الذين اصطفوا حوله، وقال لهم: «يا معشر قريش! ويا أهل مكة ! ما ترون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» (تاريخ الطبري : ٣/ ٦١).
هذا هو الإجراء الذي اتخذه النبي العفوُّ الصفحُ السمحُ تجاه أناس استعملوا في صده عن سبيل الله كل ما أوتوه من قوة، إنه إجراء لا يتخذه إلا العظماء الذين لا تستفزهم الأحداث، ولا يضمرون مثقال ذرة من غيظ لأحد.
وبعد فراغه صلى الله عليه وسلم من حديثه قال: «أين عثمان بن طلحة»؟ فدُعي له فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء» ثم ناداه بعد ذلك، وقال له: ألم يكن الذي قلت لك؟ وذكر أنه طلب منه قبل الهجرة أن يدخله الكعبة فرفض، فقال له صلى الله عليه وسلم: لعلك سترى هذا المفتاح في يدي أضعه حيث شئت، فقال عثمان: بلى، أشهد أنك رسول الله (ابن كثير :البداية والنهاية :ج٤ ص ٣٠١).
وفي رواية أخرى أنه قال: «خذوها خالدة مخلّدة، إنّي لم أدفعها إليكم، ولكن الله- تعالى- دفعها إليكم، ولا ينزعها منكم إلا ظالم». (محمد بن يوسف الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٥/ ٢٤٤).
ثم جاءه أهل مكة ليعلنوا إسلامهم، صغارا وكبارا، رجالا ونساء، فجلس لهم على الصفا، وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يجلس أسفل من مجلسه، يأخذ على الناس، وبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، وجاء بينهم أبو قحافة (أبو أبي بكر الصديق) وكان شيخا كبيرا، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هلا تركتم الشيخ حتى جئت إليه أنا في بيته» ثم أجلسه بين يديه ومسح صدره؛ احتراما لسنه؛ فتقدير كبار السن واحترامهم والاهتمام بهم ورعايتهم من أسمى تعاليم الإسلام؛ وذلك لأنهم أناس أفنوا حياتهم في تعمير الأرض وتربية الأولاد وخدمة المجتمع، فأقل شيء أن يعاملوا بالحسنى؛ ليشعروا أن كبر سنهم ووهن عظمهم ليس معناه أن المجتمع قد استغنى عنهم أو أنه سينساهم.
ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من بيعة من أسلم من رجال مكة اجتمعت عليه النساء ليبايعنه، وجاء نسوة من نساء قريش فيهن هند بنت عتبة (زوجة أبي سفيان) منتقبة متنكرة لكي لا يعرفها أحد؛ لأن رسول الله قد أمر بقتلها عند الفتح؛ لما فعلته بحثمان حمزة ـ رضي الله عنه ـ يوم أحد.
إن هند لم تنس ماضيها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعرف جيدا حكم جرائمها في قوانين البشر وأعرافها؛ ولذلك تغير قلبها في الحال لما رأت من سمو عفوه وصفحه صلى الله عليه وسلم الذي لا يُحد.
ولا عجب بعد ذلك أن تسخر ما تبقى من حياتها في نصرة رسالة صاحب هذا العفو والصفح، فغدت بعدها تخرج في المعارك، وتحض المجاهدين على القتال، وفعلت ما لم يفعله كثير ممن سبقنها في الإسلام.
ثم أكمل صلى الله عليه وسلم أخذ البيعة من هؤلاء النسوة، فقال: ولا تزنين، فقالت هند متعجبة: يا رسول الله هل تزني الحرة؟ فالمرأة الشريفة ذات الأصل العريق لا يمكن أن تقدم على الزنا وإن كانت كافرة، ذلك لأنها قبل أن تقدم على تلك الفعلة الشنعاء تفكر كثيرا في سمعة أهلها، وما يلحقهم من عار بسبب ذلك، كما أن الناس ذوي الحسب الرفيع، دائما يحرصون على تربية بناتهم على بغض خلق التبذل والوقوع في الفاحشة وإن كانوا غير مسلمين.
وبعد ذلك أمر مناديا ينادي بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما إلا كسره، فكسرت الأصنام التي كانت في بيوتهم جميعها، والأصنام التي كانت حول الكعبة، كما بعث رسول الله سرايا لكسر الأصنام المنتشرة حول مكة، وطهرت بذلك مكة من الأوثان والأصنام.
ووجود الأصنام داخل الكعبة وحولها من أعظم المنكرات التي يجب تغييرها، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركها حتى حانت الفرصة المناسبة، فلعنا نتعلم من ذلك أن تغيير المنكر ـ ونحن مأمورون به ـ يحتاج لتأن وتمهل؛ كي لا يجلب ضررا أشد منه، وليس ما حصل لأمتنا نتيجة إقبال بعض المتحمسين لهذا الأمر عنا ببعيد؛ إذ جلب لأمتنا المشاكل التي لا تجد إلى الخلاص منها سبيلا.
وأما الذين أمر صلى الله عليه وسلم بقتلهم قبل الفتح فمن أدرك منهم فقد قتل (ولم يتجاوزوا أربعة نفر، ومن اختفى منهم وأرسل يسأله العفو فقد عفا عنه، فما استشفع في أحد منهم قبل الوصول إليه إلا وعفا عنه، ومن جاءه مسلما قبل أن يعثر عليه عفا عنه أيضا، مع إن جرائمهم في حقه كانت من الفظاعة بحيث لا يمكن تناسيها، ولكنه رسول الله ونبي الإسلام الذي جاء ليعلم البشرية في طور نضجها كيف تعفو وتصفح.
وفي الختام أسأل الله عز وجل أن يردنا جميعا إليه ردا جميلا؛ لنعلم ما غاب عنا من سمو رسالة الإسلام، وأن يرزقنا الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في العفو والصفح والتضحية بكل شيء في سبيل دينه، وأن يجعل ذكرى فتح مكة هذا العام بداية للتمكين للإسلام والمسلمين من جديد ، بعد زوال الكرب الذي حل بنا نتيجة الاختلال في فهم رسالة الإسلام التي ظهرت بجلاء في هذا الفتح المبين.

منهج القرآن الكريم

في تزكية العقل ٣/٣

د. حياة عبد العزيز محمد نياز

أعده للنشر . د محمد تاج العروسي

اعتنى القرآن الكريم بالعقل وزكاه تزكية تتفق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فجعله مناط التكليف، وصحح كل التصورات الفاسدة التي حُرِّفت في العقائد السابقة، ولم تقم على برهان، وإنما على مجرد الظن والتقليد والهوى، ففي تصحيح التصورات الفاسدة في الألوهية نجد القرآن يسير في خطين متوازيين:

أ. خط مثبت كل كمال لله تعالى، كالخلق، أو النفع والضر والتأثير وغير ذلك.

ب.وخط ناقض للشرك من خلال عجز الشركاء عن الخلق، أو النفع أو الضر، أو التأثير في هذا الكون بأي صورة من الصور، أو غير ذلك من أنواع الشرك مع الله.

فمن أمثلة الجانب الأول قوله تعالى : «هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» فاطر:٣، ومن أمثلة الجانب الثاني قوله تعالى : «أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ» النحل:١٧ ففي الآية يحاور القرآن الكريم أهل العقائد الفاسدة محاورة عقلية مستخدماً أسلوب الاستفهام الإنكاري للتوبيخ والتقريع؛ ليؤكد لهم أن الذي يخلق جميع المخلوقات لا يتساوى مع من لا يخلق شيئاً. (الدلالة العقلية في القرآن الكريم ص. ٢٦٧. والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم. ص ١٣٤).

وفي تصحيح التصورات الفاسدة عن الكون والحياة والمصير فإن القرآن يؤكد أن الكون آية من آيات الله الناطقة، وبرهان من البراهين الساطعة التي تدل بأن هذا الكون له مدبر وإليه يرجع الأمر كله، وهو على كل شيء قدير، أراده الله عز وجل فكان، وقدره الله تقديراً محكماً متقناً، وجعل كل شيء فيه خاضعاً لإرادته المباشرة المطلقة وتدبيره المحكم، كل شيء فيه يسير وفق نظام دقيق لا يخطئ، يدل على عظمة الخالق المدبر، وقد خلق الله الكون لحكمة إلهية ربانية ولم يخلقه عبثاً ولا لهواً، ومن طبيعة الكون القابلية للزيادة والتغير والتبدل والنمو حسب السنن والغاية المرسومة له من خالقه.

والكون في التصور القرآني وحدة من الكون المادي المشهود، والكون المعنوي غير المشهود وهو ما يسمى بعالم الغيب وهو عالم يختص به الله وحده يوحي لما يشاء من أمره على من يشاء من عباده، ويرسلهم بالرسالات إلى الأمم هداية وتبصيراً لمعنى وجودهم، وغاية هذا الوجود وعلاقاته ومآله، وعلاقة الإنسان وفق مفهوم الإسلام بعالم الغيب هي علاقة خيرة بناءة، تهدف إلى إقامة الحق والعدل في الحياة الإنسانية وإعمار الأرض وصيانة الكائنات والأرض من الفساد. أزمة العقل المسلم عبد الحميد أبو سليمان. ص ١١٠

وأما ما يتعلق بتصحيح التصورات عن المعرفة، فمصدرها ومنبعها هو الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده يقول تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» البقرة:٣١ .

وللمعرفة مصادر متنوعة في القرآن وهي: (الحس، والعقل،

والقلب، والإلهام، والوحي) فبالوحي الإلهي تتم هداية الإنسان إلى الحق ويزود بالمعارف اليقينية، ويعلم بأمور الغيب التي لا يحيط بها عقله ولا تلحق بها حواسه، وبالعقل يدرك الأشياء ويفهمها ويميزها ويرتقي في مدارج التحصيل العلمي والمعرفي، وبالحس يكتسب المعرفة المتعلقة بالأشياء المحسوسة عن طريق الملاحظة والتجربة والاستقراء التجريبي، وبالحدس والإلهام يهتدي إلى كثير من المعارف والمدركات التي يتم حصولها بالإشراق البديهي من خلال كشف شعوري وجداني ذاتي لاحسي ولا عقلي . فلسفة التربية في القرآن الكريم، ص٣٢١

والمعرفة في التصور القرآني لها مجالات:

١. عالم الغيب: وطريقهُ الوحيُ، والعقلُ يسلم بوجوده وفق ما سمح الله له من إمكانات.

٢. عالم الشهادة: وطريقه الحسُّ والعقل، وقد بين الله عز وجل كثيراً من نواميس وأسرار هذا الكون، وجعل الكون كتاباً للمعرفة، ووجه الإنسان إلى التفكير والتأمل في بديع صنع الله والسير لاكتشاف ما أودعه في هذا الكون المشاهد من خيرات جعلها لخدمته وسعادته . وقد جمع الله عز وجل بين طرق المعرفة الرئيسة الثلاث: (الحس، والعقل، والوحي)، وبين مجالي المعرفة: عالم الغيب وعالم الشهادة في قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ» يوسف:١٠٩. كما أن غاية المعرفة في التصور القرآني هي تحقيق العبودية الخالصة لله عز وجل علماً وعملاً، لقوله تعالى : «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون» الذاريات:٥٦.

منهج القرآن الكريم في إزالة معوقات التفكير:

يهتم القرآن الكريم بتزكية أساليب التفكير من العوامل التي تعوقه وتؤدي إلى جموده، فتحول بينه وبين معرفة الحقيقة، والتمييز بين الحق والباطل، والخير والشر، وفي اكتشاف الحقائق، واكتساب العلوم.. ففيما يلي بيان تلك العوامل:

أولا: التقليد: يعتبر تقليد الآباء والتمسك بأفكارهم وعاداتهم من العوامل الرئيسة في جمود فكر الإنسان وتعطيل ملكاته العقلية عن العمل، فلا يفهم ولا يتدبر، ولا يتفكر، ولا يتأمل ولا يقارن، ولا ينظر إلى الأمور نظرة تحليلية؛لذا فقد ذم الله تعالى هذا الصنف، قال تعالى : «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ» المائدة:١٠٤، وهذا الذم ينطبق أيضاً على من يقلد غيره في غير الحق، فقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن «من اتبع دين آبائه وأسلافه لأجل العادة التي تعودها، وترك اتباع الحق الذي يجب اتباعه، فهذا هو المقلد المذموم، وهذه حال اليهود والنصارى، بل أهل البدع والأهواء في هذه الأمة الذين اتبعوا شيوخهم ورؤساءهم في غير الحق» .الفتاوى لابن تيمية ٤/ ١٩٨

ثانيا: الغفلة: فقد حذر الله عباده من تعطيل عقولهم وحواسهم عن تدبر الآيات الكونية والشرعية، والغفلة كذلك عن الهدف من وجودهم وعن مصيرهم قال تعالى : «سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ» الأعراف:١٤٦.

ثالثا: الإعراض: أشار القرآن الكريم إلى تأثير الإعراض في إعاقة العقل عن التفكير والتأمل في آيات الله، والإيمان بها ، وفهم المراد منها، قال تعالى : «أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ» المؤمنون:٦٨-٧١.

وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الترهيب لبيان عقوبة من أعرض عن آيات الله، «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً» الكهف:٥٧ ، وقال تعالى: «مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرا» .

رابعا: التبرير: من عوامل جمود العقل التبرير؛ لأنه يكرس الخطأ بمحاولة صاحبه تبرير سلوكه غير المقبول، بأن يعطيه تفسيراً قد يبدو للعقل منطقيّاً فيحجب صاحبه من التفكير في معالجة ذلك السلوك وتعديله، ومن أمثلة ذلك تبرير المنافقين إفسادهم في الأرض بأنهم مصلحون، قال تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ» سورة البقرة:١١-١٢ .

وتبريرهم كذلك صدودهم عن الاحتكام إلى ما أنزل الله بأنهم يريدون الإحسان إلى المتخاصمين قال تعالى:»أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً» النساء:٦٠-٦١ .

خامسا:الهوى: أشار القرآن إلى تأثير الهوى في إعاقة عقل الإنسان عن التفكير مما يؤدي إلى انحرافه، والعجز عن التمييز بين الحق والباطل، قال تعالى: «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ» القصص:٥٠، وقال تعالى : «أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً» الفرقان ٤٤.

في هاتين الآيتين يصور القرآن نموذجاً من البشر انفلتت أنفسهم من كل المعايير الثابتة والموازين الصحيحة، فأصبحوا يتعبدون هواهم، ويحكمون شهواتهم، ولا يعرفون حجة ولا برهاناً سوى ما تهواه أنفسهم، وبهذا التجرد مما خصَّ به الإنسان من العقل، والقدرة على التمييز بين الحق والباطل انحطت شخصياتهم، لتكون أقل درجة من درجة الأنعام، وقال تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» الجاثية:٢٣.

وحين لا يهتدي الإنسان بسنن الله، ولا يهتدي بالعلم والهدى الذي جاء من عند الله يميل به هواه عن الحق، فيقوده ضيق نظره ومحدودية إدراكه إلى اتباع الظن كوسيلة لتحصيل المعرفة، قال تعالى: «إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى» النجم:٢٣.

كما تعددت أساليب القرآن في النهي عن اتباع الظن تارة بالنهي الصريح كما في قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ»، وتارة بذم المتبعين للظنون كما في قوله: «وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً»،وتارة بوصف الأكثرية باتباع الظن كما في قوله تعالى: «وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ»يونس:٣٦.

ولم يكتف القرآن بتزكية العقل من العوامل التي تعيقه من القيام بالمهام المناطة به من تعقل، وتفكر، وتدبر، وتبصر بل دعا الإنسان إلى التفكير العلمي القائم على الأسس التالية :

١ - التبين والتثبت في معرفة الأمور، وعدم الحكم على الأشياء حكماً غير صحيح بالاعتماد على معلومات لا دليل عليها، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» الحجرات:٦. فالآية تتضمن مبدأ التمحيص والتثبت من خبر الفاسق، فأما الصالح فيؤخذ بخبره، والأخذ بخبره جزء من منهج التثبت؛ لأنه أحد مصادره، أما الشك المطلق في جميع المصادر وفي جميع الأخبار، فهو مخالف لأصل الثقة المفروض بين الجماعة المؤمنة. (في ظلال القرآن، ص ٣٣٤١).

٢- التفكير المنطقي الهادئ العميق غير المتأثر بعاطفة، أو متحيز لانفعال معين للوصول إلى نتائج علمية صحيحة، قال تعالى: «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ» الأنعام:٧٦-٧٨. فقد تدرج إبراهيم عليه السلام تدرجاً عقلياً منطقياً مقدماً الأدلة العقلية في إثبات وحدانية الله عز وجل وقدرته.

٣- تحفيز العقل على الابتكار والإبداع والتجديد، خاصة فيما يتعلق بالطرق والأساليب والوسائل بشؤون الفرد والجماعة الدنيوية والأخروية، وذلك بالاجتهاد العقلي في فهم الأمور وتدبرها ومعرفة أحكامها وأسبابها ومسبباتها، واستنباط النتائج من مقدماتها، وقد تجلى هذا الأساس في دعوة القرآن الكريم إلى إعمال العقل في حركة الكون، وتتبع هذه الحركة، قال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» سورة البقرة:١٦٤.

فقد فصلت الآية بعض الحقائق العلمية عن سر الحياة في هذا الكون، وبينت وجود التصميم المبدع في الكون، والترابط المنظم بين كافة عناصره، وفي هذا تحفيز للعقل الإنساني على التفكير المبدع...لقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن الحياة على الأرض لا ترتكز على الماء فقط، وإنما أيضاً على غاز النيتروجين الذي يعتبر مهمّاً لإنبات النبات، وتتحصل التربة على هذا الغاز من عواصف الرعد، ومن نشاط جراثيم (بكتيريا) معينة تسكن في جذور النباتات البقلية . روح الدين الإسلامي عفيف طيار، ص ٧٣.

٤- شمولية التفكير، وقد أكد القرآن على أهمية التفكير حين نعى على المشركين تكذيبهم للقرآن الكريم من قبل الإحاطة بما فيه من الأدلة والبراهين والحجج على أنه الحق، وذلك لأنهم عطلوا عقولهم عن تدبر آياته، وفهم مراميه، والتعرف على معانيه، وإدراك ما جاء فيه من الأخبار بالمغيبات، قال تعالى: «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ » يونس:٣٩.

٥- التفكير الناقد البناء، وقد اشتمل القرآن على هذا النوع من التفكير في مواطن متعددة من ذلك قوله تعالى في بيان ضلال المشركين وتغيير معتقداتهم الباطلة «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ» الأعراف:١٩٤-١٩٥، أراد الله عز وجل في هذه الآيات القرآنية وأمثالها إثبات التوحيد وإبطال الشرك عن طريق كشف حقيقة هذه الأصنام، وبطلان عبادتها باستخدام الأدلة العقلية التي تفند تلك المعتقدات الباطلة. بهذا المنهج الواضح تناول القرآن الكريم تربية العقل، بحيث لا يضل وهو يتعلم، ولا ينحرف عن طريق الخير ولا يستخدم معلوماته في الشر.

السواك: أسرار وفوائد

بقلم: د. محمد محمود العطار

أستاذ مساعد - جامعة الباحة

الفم والأسنان عنوانًا الصحة الجيدة، وهما كذلك مصدر الداء لكثير من الأمراض وبخاصة أمراض الجهاز الهضمي والتنفسي. فإذا كانا بحالة جيدة أدى ذلك إلى مستوى صحي مرتفع بالنسبة للفرد.

ومما لاشك فيه أن رائحة الفم تعطي انطباعاً خاصاً عن نظافة الإنسان وعنايته بصحته. وقد يتجنب الناس من كانت رائحة فمه كريهة، وينفرون منه إذا تحدث، أو يديرون رؤوسهم عنه، وقد يكون لذلك أيضاً أثر سلبي في العلاقات الزوجية، مما قد ينذر بانهيارها أو على الأقل اضطرابها.

والسواك خير وسيلة للمحافظة على الفم والأسنان بما يحتويه من مواد مطهرة ومواد عطرية ومواد مضادة للعفونة وقاتلة للجراثيم. فهو ليس معجوناً مثالياً فحسب، بل إنه يعطي الفم رائحة زكية وطعماً مستساغاً إضافة إلى سعره المنخفض.

ما هو السواك؟

السواك هو قطعة من فرع أشجار الأراك، وهي أفضل وسيلة للمحافظة على نظافة الفم والأسنان، وأجود ما يتخذ السواك من أشجار الأراك، وهي دائمة الخضرة طوال فصول السنة تشبه شجرة الرمان، وتنمو في المناطق الصحراوية الحارة وتكون قليلة في الجبال ، ويؤخذ السواك من جذور أشجار الأراك البالغة من العمر سنتين أو ثلاث، ويؤخذ بعض الأحيان من الأغصان، ويكون السواك جافاً في الغالب وفي بعض الأحيان أخضر.

وتحتوي أغصان الأراك على مادة الكلور التي تفيد في إزالة الصبغة والتلوين من على الأسنان، ومادة السيلكا وهي مادة تبيض الأسنان، ومادة صمغية تعمل على تغطية المينا وحمايته من التسوس، ومادة ثلاثي المثيل أمين، وتعمل على التئام جروح اللثة، ومواد قلوية تعمل على منع التسوس، بالإضافة إلى وجود مادة قاتلة ومواد مضادة للالتهاب ومضادة للتسوس.

مكونات السواك

أجمع علماء الطب والصيدلة على أن السواك يحتوي على العديد من المواد الكيماوية التي لا توجد في أي معجون للأسنان، وهي:

- السينغرين: وهي مادة مطهرة قوية تقتل الجراثيم.
- العفص: وهو مطهر قابض يوقف النزيف ومضاد للتعفنات والإهمال، ويشفي الجروح الصغيرة باللثة.
- مواد سكرية مثل الجلاكتوز والنشا والمواد الصبغية، وهي تساعد على توزيع المواد الفعالة.
- مادة الفلوريد وهي التي لا بد من وجودها في أي معجون للأسنان، فهي موجودة طبيعياً في السواك.
- مادة الانثراليتون هي التي تعمل على تنظيف الفم والأسنان وتقوية الشهية وتقوية حركة الأمعاء.
- مادتا بيكربونات الصوديوم وكلوريد البوتاسيوم اللتان تقومان بمهمة نظافة الأسنان.
- مادة شبيهة بالبنسلين تخفف من حدة آلام الأسنان.
- بلورات السيليس: وهي مواد زالقة للأوساخ حيث تحك القلح عن الأسنان.
- مادة تمنع النخر السني وألياف السليلوز.

كما يحتوي السواك على العديد من المواد الفاعلة، وأهمها

على الإطلاق مادة « إيزوثيوسيانات « وهي مادة كبريتية. وقد ثبت أن هذه المادة تلتصق بالغشاء المخاطي بالفم واللثة لعدة ساعات، وهي تعمل كمضاد حيوي طبيعي يمنع نمو البكتيريا الضارة بالفم والأسنان، وهذا هو السر في بقاء فاعلية السواك واستمرارها لمدة طويلة بعد استعماله.

ولذا ينصح باستعمال السواك بعد الأكل، وبعد الاستيقاظ من النوم، وعند كل صلاة، لأنه يؤدي إلى استمرار بقاء الفم خالياً من الميكروبات طوال اليوم، مما يتيح بيئة صحية للفم والأسنان.كما يحتوي السواك على زيوت طيارة و«فلافونيدات» و « قلويدات»، تساعد على زيادة مناعة الجسم ضد الأمراض.

فوائد السواك

هناك فوائد عديدة للسواك، حيث إنه سنة ثابتة عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج الشيخان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» . وقال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم مرضاة للرب» (أخرجه البيهقي وأحمد).

وفي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك»، وفي صحيح مسلم: «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك». وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مالي أراكم قلحاً؟ استاكوا» (رواه أحمد).

والقلح أحد المظاهر الرئيسية لعدم تنظيف الأسنان، إذ هو رواسب عضوية وغير عضوية وفضلات الأكل والبكتريا، وبمرور الزمن تتصلب ولا سيما إذا أهمل الإنسان تنظيف أسنانه.

وتعود الآثار النافعة للسواك في صحة الفم إلى أن السواك في حقيقة الأمر فرشاة أسنان طبيعية أليافها طبيعية وليست من البلاستيك، فربما كانت ألطف على اللثة. والسواك كذلك معجون أسنان طبيعي، حيث يحتوى السواك على مجموعة من المواد المهمة في نظافة الأسنان، فالسواك يطيب نكهة الفم، ويحسن صحته، ويقي من داء الحفر وهو التهاب ما حول السن، وينزع البلغم.

وتزداد فاعلية السواك في تنظيف الفم إذا ما استعمل مبلولاً بماء الورد، ويجب الحرص على تغيير السواك من وقت لآخر لأن المادة الفعالة بالسواك تقل مع طول الاستعمال.

كما يجب الحرص على تنظيف السواك بالماء بعد كل استعمال مع مراعاة قص الجزء المستعمل كل ثلاثة أيام وإعداد الجزء الذي يليه للاستعمال. ويجب أن يبلغ طول الجزء المستعمل حوالي (سنتي ونصف السنت) تقريباً. ويتم إعداد الجزء المستعمل في التنظيف بأن يكشط من السواك القلف الخارجي ثم ينزل في الماء لمدة ساعتين وهو الجزء المراد إعداده للاستعمال فقط وليس كل السواك، ثم ينزع من الماء ويدق برفق الجزء المكشوط وبذلك

يكون جاهزاً للاستعمال.

ولقد أدرك أطباء الأسنان بعد الدراسات والبحوث التي أجريت على السواك الفروق الجوهرية بين المساويك والمعاجين، ومنافع السواك وفوائده عديدة، حيث لا تقتصر على الفم والأسنان فقط، بل يطيب الفم ويطهره ويشد اللثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويذهب بالحفر، ويصح المعدة، ويصفي الصوت، ويسهل مجرى الكلام، ويقوي على هضم الطعام، وينشط القراءة والذكر والصلاة، ويدر البول، ويجلي الأسنان، ويطلق اللسان، ويشهي الطعام، ويحمي الفم من السرطان، وهو مسكن لآلام الأسنان، ويرضي الرب، ويعجب الملائكة، ويكثر الحسنات، كما أنه يعطي للفم رائحة ذكية وطعما مستحسناً.

الاستعمال الصحيح للسواك :

- يجب أن يكون السواك طازجاً بحيث يكون غنياً بالمواد الكيميائية المفيدة.
- يجب أن تبتعد عملية التنظيف بقدر الإمكان عن اللثة المحيطة بالأسنان.
- يجب على الشخص، وقبل الشروع في استعمال السواك، أن يغسل طرف السواك بالماء ويمضغه حتى تظهر شعيرات مشابهة للتي في فرشاة الأسنان.
- قد يضر السواك الجاف اللثة، لذا يجب غمر السواك في الماء مع مراعاة ألا يزيد ذلك على ٢٤ ساعة.
- ينصح بألا يزيد طول السواك عن ١٥سم، وذلك حتى يتمكن الشخص من التحكم فيه، مع ضرورة الحذر من إبقاء السواك داخل الفم أثناء القيام بأعمال أخرى.
- يجب أن يكون استخدام السواك بطريقة عمودية وطولية من اللثة إلى الأسنان بطريقة هادئة، بحيث تتم في الفك السفلي من أسفل إلى أعلى، وفي الفك العلوي من أعلى إلى أسفل، وتسهم هذه الطريقة في تدليك اللثة للحفاظ على صحتها ونموها.

الكسائي علي بن حمزة

عالم القراءات والنحو

(نقلاً عن مجلة أعاريب - العدد الثالث

«أجالسنا وأنت تلحن؟ إن كنت أردت التعب فقل أعييت، وإن كنت أردت انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل عييت: مخففة « [١].

ذي الكلمات التي كان لها أثر عجيب على صاحب اليوم؛ فقد قسمت حياته قسمين: فما قبلها قسم، وما بعدها قسم؛ وكان القسم الثاني منهما أوفر حظا وأغزر علما؛ وأوثق في أمهات الكتب خطى.

أجل تلقى صاحبنا هذه الكلمات على كبر عندما جاء الهباريين يوما؛ وهم أهل فصاحة، وقد مشى حتى أعيى؛ فقال: قد عيّيت، بتشديد الياء الأولى؛ فصفعه القوم بمقولتهم السابقة؛ فلم يجد مخرجا إلا أن يسأل ويسمع منهم سبب اللحن، وطريق النطق الفصيح لمثل ذلك التركيب؛ على أنفة منه ومضاضة وجدها في نفسه؛ شكلت دافعا قويا لتعلم الفصيح من الكلام، وإصلاح عجمة اللسان؛ إذ قام من فوره سائلا عن معلم للنحو؛ فدُل على معاذ الهراء فتبعه حتى أنفد ما عنده.

أيها القارئ الكريم؛ موعدنا اليوم مع واحد من أهل القراءات والنحو؛ إنه علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، الأسدي المعروف بالكسائي النحوي أحد أئمة القراء من أهل الكوفة[٢].

ما أعظم صنيع كلمات الهباريين؛ إذ حصدت للعربية رجلا من روادها؛ وأيقظت داخله نهم العلم، فهو يغرف منه غير شبعان؛ فما إن اطمأن إلى أنه قد أنهى ما عند معاذ الهراء حتى خرج إلى البصرة؛ ليلقى إمامها الخليل، ويجلس في حلقته؛ ينصت إليه؛ ويحفظ ما قال؛ وبينا هو كذلك إذ استعتبه رجل قائلا: «تركت أسد الكوفة وتميمها وعندها الفصاحة وجئت إلى البصرة، فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة؛ فخرج ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ.

رجع صاحبنا إلى البصرة ثانية يقصد الخليل، لكن البصرة قد تغير حالها، كما أن صاحبنا قد تغير حاله فضمن فؤاده ما سمع من الأعراب أهل الفصاحة حتى امتلأت ذاكرته، وامتلأت كذلك رقاعه التي دوَّن عليها، ونفدت أحباره في تدوين ما سمعه.

نعم؛ تغير حال البصرة بموت الخليل بن أحمد؛ وما أدراك ما الخليل بن أحمد؟ رأس اللغة والنحو في عصره، وأستاذ أساتذة المدرستين الكبيرتين الكوفة والبصرة.

مات الخليل، ولم يمت علم الخليل، ولم تنته حلقة درسه؛ إذ ارتقاها يونس بن حبيب البصري؛ ليبلغ العلم كما كان يبلغه الخليل.

وجاء صاحبنا يسأل عن الخليل فأخبر بموته؛ فجلس يستمع ليونس بن حبيب، لكنه هذه المرة لم يكن مجرد طالب علم؛ فهو رجل قد ضم بين جنبيه علم معاذ الهراء، ونقحه بما أخذ عن الخليل، ثم إنه قد عاشر أعراب البادية؛ فأصلح عجمة لسانه، وعرف طبائع الفصحاء في الكلام، وحفظ عنهم ما حفظ، ودون عنهم ما دون.

وقف صاحبنا موقف النظير من يونس بن حبيب، ودارت بينهما مسائل ومناظرات «أقر له يونس فيها، وصدره موضعه»[٣].

الكسائي؛ بياء النسب، قيل: نسبة إلى كساء أحرم فيه، وقيل: نسبة إلى كساء التف به في مسجد كان يقرأ فيه حمزة الزيات؛ أحد علماء القراءات[٤]، وقيل غير ذلك، ولكنه في النهاية لقب كتب له أن يكون علما على رجل أخلص لطلب العلم، فامتد ذكره بالعلم بعد موته.

قدر لصاحبنا أن يشيع أمره، وينتشر علمه، فهيئت له الأسباب؛ فها هو ذا الخليفة المهدي أبو هارون الرشيد يأتي بمؤدب لهارون، ليعلمه، فدعاه يوما المهدي وهو يستاك؛ فقال: كيف تأمر من السواك؟ فقال: استك يا أمير المؤمنين فقال المهدي: إنا لله وإنا

إليه راجعون، ثم قال: التمسوا لنا من هو أفهم من ذا؛ فقالوا: رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي من أهل الكوفة، قدم من البادية قريبا فكتب بإزعاجه من الكوفة، فساعة دخل عليه قال: يا علي بن حمزة، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: كيف تأمر من السواك؟ قال: سُكْ يا أمير المؤمنين، قال: أحسنت وأصبت وأمر له بعشرة آلاف درهم.

يا للأقدار!! صار الكسائي مؤدبا لابن الخليفة، ثم صار مؤدبا للخليفة؛ هارون الرشيد، ومؤدبا لابنيه - بعد ذلك - الأمين والمأمون.

ما أغرب أثر تقلب الجديدين! فمن كان بالأمس القريب يوجَّه من الهباريين للفصاحة أصبح اليوم معلما للفصاحة، من كان منطقه بالأمس متهما باللحن والخطأ؛ صار اليوم حجة على الفصيح والغريب والجائز والواجب والممتنع، وهذا هو صنيع العلم بأهله.

وازدادت مكانة صاحبنا بعد موت الخليفة المهدي، وتولي هارون الرشيد الخلافة؛ فهارون تلميذه، والكسائي -لا شك - ذو حظوة عند الرشيد معلومة الأسباب.

وقد كان بعض العلماء يغبط الكسائي على هذه المكانة التي كان يحظى بها عند الخليفة؛ فيروى أن القاضي أبا يوسف - رحمه الله - كان يقع في الكسائي ويقول: إنما يحسن شيئا من كلام العرب؛ فبلغ الكسائي ذلك؛ فالتقيا عند الرشيد فسأله الكسائي: ماذا تقول في رجل قال لامرأته أنت طالق طالق طالق؟ قال: واحدة، قال: فإن قال لها: أنت طالق أو طالق أو طالق؟ قال: واحدة، قال: فإن قال لها: أنت طالق ثم طالق ثم طالق؟ قال: واحدة؛ قال: فإن قال لها: أنت طالق وطالق وطالق؟ قال: واحدة؛ قال الكسائي: يا أمير المؤمنين؛ أخطأ يعقوب في اثنتين وأصاب اثنتين.

أراد صاحبنا أن يبرهن للقاضي أبي يوسف أن القضاء الذي هو صنعة أبي يوسف لا يستقيم أمره إلا بالنحو، فالسؤال الذي وجهه الكسائي في الفقه والقضاء، ولا جواب له إلا بالنحو، وكانت هذه عادة صاحبنا في مناظراته مع القاضي أبي يوسف، إلى أن جعل أبا يوسف يمدح العربية والنحو.

طفق صاحبنا بعد أن لاحظ خطأ أبي يوسف يحلل له المسائل التي سأله فيها تحليلا نحويا دلاليا، فقال: «أما قوله: أنت طالق طالق طالق فواحدة، لأن الثنتين الباقيتين تأكيد كما يقول أنت قائم قائم قائم، وأنت كريم كريم كريم، وأما قوله: أنت طالق أو طالق أو طالق فهذا شك، فوقعت الأولى التي تتيقن، وأما قوله: طالق ثم طالق ثم طالق فثلاث لأنه نسق، وكذلك طالق وطالق وطالق.

حصّل الكسائي خلال ارتحاله العلمي علما كثيرا، ولقد كانت كلمات الهباريين التي قالوها في نقد لحنه فاتحة خير عليه لم ينقطع، فقد ألم بعلوم شتى، ولم يكتف بالوقوف عند حد النحو.

ويدلنا على ذلك ما رواه صاحب وفيات الأعيان عن السجستاني إذ يقول: «قال محمد بن الحسن الأزدي: حدثنا أبو حاتم قال: وفد علينا عامل من أهل الكوفة ولم أر في عمال السلطان أبرع منه، فدخلت عليه مسلّمًا فقال لي: يا سجستاني، من علماؤكم بالبصرة قلت: الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي، والمازني أعلمنا بالنحو، وهلال الرأي أفقهنا، والشاذكوني من أعلمنا بالحديث، وأنا - رحمك الله - أنسب إلى علم القرآن، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط، قال: فقال لكاتبه: إذا كان غدًا فاجمعهم إليّ، قال: فجمعنا فقال: أيكم المازني، فقال أبو عثمان: ها أنا ذا، قال: هل يجزي في كفارة الطهارة عتق عبد أعور؟ قال المازني: لست صاحب فقه، أنا صاحب عربية، قال: يا زيادي، كيف يكتب بين بعل وامرأة خالعها على الثلث من صداقها؟ قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم هلال الرأي، قال: يا هلال، كم أسند ابن عون عن الحسن قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم الشاذكوني، قال: يا شاذكوني، من قرأ: (تثنوني صدورهم)[٥]. قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم أبي حاتم، قال: يا أبا حاتم، كيف تكتب كتابًا إلى أمير المؤمنين تصف خصاصة أهل البصرة، وما أصابهم في الثمرة، وتسأله لهم النظر والنَّظِرة قلت: لست صاحب بلاغة وكتابة، أنا صاحب قرآن؛ قال: ما أقبح الرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلا فنًّا واحدًا حتى إذا سئل عن غيره لم يَجُل فيه ولم يمُر، لكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا كله لأجاب[٦].

كان صاحبنا ذا حظوة عند هارون الرشيد وكان موضع ثقة وإجلال، حتى إنه ليحكي عن نفسه وهو يصلي بهارون الرشيد ذات يوم فيقول: «صليت بهارون الرشيد فأعجبتني قراءتي فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي قط؛ أردت أن أقول (لعلهم يرجعون) فقلت (لعلهم يرجعين)؛ قال: فو الله ما اجترأ هارون أن يقول لي أخطأت، ولكنه لما سلمت قال لي: يا كسائي أي لغة هذه، قلت: يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد؛ فقال: أما هذا فنعم[٧].

لم تقف مناظرات صاحبنا عند القاضي أبي يوسف أو يونس بن حبيب البصري، بل إن له مناظرات ممتعة مع كثير من العلماء، ولقد ذكرنا لك في العدد الأول يا - هداك الله - طرفا من مناظرته مع سيبويه التي عُرِفَتْ بالمسألة الزنبورية في النحو.

وكانت لصاحبنا مناظرات مع اليزيدي وصولات وجولات اتسمت بالتنافس القوي الذي كان مرده إلى أن الكسائي قد آل به الأمر إلى أن يؤدب الأمين، وأن يؤدب اليزيدي المأمون[٨].

ومن المناظرات التي دارت بينهما ما روي من أن الرشيد جمع بين الكسائي وأبي محمد اليزيدي، يتناظران في مجلسه، فسألهما الكرماني عن قول الشاعر: من مجزوء الرمل:

ما رأينا خَرِبًا يَنقر عنه البَيضَ صَقْرُ
لاَ يَكُونُ العَيرُ مُهرًا لا يكون؛ المُهْر مُهرُ

فقال الكسائي: يجب أن يكون المهر منصوبًا على أنه خبر كان، ففي البيت على هذا إقواء. فقال اليزيدي: الشعر صواب؛

لأن الكلام قد تم عند قوله: لا يكون الثانية، ثم استأنف، فقال: المهر مهر، ثم ضرب بقلنسوته على الأرض، وقال: أنا أبو محمد. فقال له يحيى: أتكتني بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال الرشيد: والله، إن خَطَأ الكسائي مع حسن أدبه لأحب إلي من صوابك مع سوء أدبك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ فأمر بإخراجه[٩].

أذهبت حلاوة الظفر عن اليزيدي التحفظ؛ ففرح بما كان منه أمام عالم الكوفة وأستاذها، وما كان التنافس ليحمل اليزيدي على بغض الكسائي، بل كان يعرف له قدره ويجله، وليس أدل على ذلك من الأبيات التي قالها اليزيدي في رثاء الكسائي بعد أن خرج الأخير مع هارون الرشيد إلى الري، وكان بصحبتهما محمد بن محمد بن الحسن القاضي صاحب أبي حنيفة، فمات القاضي محمد بن الحسن، ومات الكسائي في بلد واحد، وهو قرية رنبويه بالري، وكانا متوجهين مع الرشيد إلى خراسان، فقال الرشيد: «دفنا الفقه والنحو بالري»[١٠]؛ وباغت الخبر اليزيدي فأحزنه، وحرك أشجانه، فقال:

تصرَّمت الدُّنْيَا فَلَيْسَ خلودُ
وَمَا قد يُرَى من بهجةٍ سيبيدُ
أَسِيتُ على قَاضِي الْقُضَاة محمدٍ
فأذريتُ دمعاً والفؤادُ عميدُ
وقلتُ إذا مَا الخطبُ أشكلَ مَنْ لنا
بإيضَاحه يوماً وَأنت فقيدُ
فأوجعني موت الْكِسَائي بعده
وكادت بي الأرضُ الفضاءُ تَميدُ
هما عالِمَان أوديا وتخرَّما
وَمَا لَهما فِي العالمين نَدِيدُ
فحزني إن تخطر على القلب خطرة
بذكرهما حتى الممات جديدُ

قَالَ الرشيد: أحسنتَ يَا بصريّ، قد كنت تظلمه فِي حَيَاته وأنصفته بعد مَوته[١١].

أيها القارئ الكريم؛ طوفنا بك سريعًا حول الكوفة والبصرة وبوادي الحجاز ونجد وتهامة وبغداد والري؛ مع عالم من علمائنا في القراءات واللغة والنحو؛ إنه الكسائي عالم الكوفة، بل عالم الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، أسأل الله العلي العظيم أن يمطره سحائب الرحمة والغفران، وأن ينفع المسلمين بما بقي من علمه.

الحواشي:

[١] ينظر تاريخ بغداد - المجلد الثالث عشر - تحقيق د. بشار عواد معروف - دار الغرب الإسلامي - الطبعة الأولى ٢٠٠١ م: ١٣ /٣٤٥.

[٢] ينظر إنباه الرواة على أنباه النحاة - القفطي - تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت -الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ: ٢/ ٢٥٦، وينظر أيضا الأعلام - الزركلي:٤/ ٢٨٣

[٣] تاريخ بغداد: ١٣ / ٣٤٧.

[٤] ينظر المرجع السابق: ١٣ / ٣٤٨.

[٥] تلك قراءة شاذة تروى عن ابن عباس، وقراءة المصحف «أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ [هود: ٥]، ووردت الرواية في تاريخ بَغداد بالقراءة التي ذكرتها لك، ووردت في وفيات الأعيان بقراءة المصحف.

[٦] ينظر وفيات الأعيان: ٢/ ٤٣٢، وينظر أيضا تاريخ بغداد: ١٣/ ٣٥٠.

[٧] ينظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة - محمد بن يعقوب الفيروز أبادي - تحقيق: محمد المصري - دار سعدالدين - دمشق - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ: ١ /٢٠٨، وينظر أيضا سير أعلام النبلاء - شمس الدين الذهبي ت ٧٤٨هـ -الجزء التاسع - تحقيق كامل الخراط - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - ١٤٠٢ هـ: ١٣٣/٩.

[٨] ينظر مثلا بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١هـ - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم -المكتبة العصرية - لبنان: ١ /٢٦٥، وينظر أيضا تاريخ دمشق - ابن عساكر - تحقيق محب الدين العمروي: ٣٣ / ٢٨٤.

[٩] ينظر طبقات الشافعية الكبرى - تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي- تحقيق: د.محمود محمد الطناحي ود.عبد الفتاح محمد الحلو - هجر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤١٣هـ: ٣/ ١٤٢، وينظر أيضا النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي - عبدالملك بن حسين العاصمي المكي ت ١١١١هـ ٠ باب خلافة هارون الرشيد، نسخة إلكترونية، وروي البيت الأول بروايتين؛ الأولى التي ذكرناها، والثانية (ما رأينا خَرِباً نق... قر عنه البَيضَ صَقْرُ)، والخرب الذكر من الحبارى، والعير بفتح العين وسكون الياء الذكر من حمر الوحش.

[١٠] ينظر الكتاب: العبر في خبر من غبر - أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية - بيروت: ١ / ٢٣٤.

[١١] الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي - أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني ت ٣٩٠هـ - تحقيق عبد الكريم سامي الجندي -دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: ١/ ٦٨٣.

هل تراجع الفاتيكان عن تحريم الإجهاض؟

بقلم: أحمد صالح محايري ـ البرازيل

في الـ ٢٤ من شهر نوفمبر ٢٠١٦م أصدر الفاتيكان مرسومه الذي تناقلته وسائل الإعلام باهتمام كبير، إذ جاء فيه: «إن نيافة بابا الفاتيكان يوصي كل رهبان الكنائس بأن يعفوا ويستغفروا لكل من ارتكب عملية الإجهاض أو تسبب فيها» اهـ. فالأوساط الدينية والإعلامية ورجال القانون والمجالس التشريعية اعتبروا أن هذا المرسوم هو الأول من نوعه في تاريخ الكنيسة، إذ كانت تعاليمها منذ القدم تنص على تحريم الإجهاض مطلقا، فجاء هذا المرسوم ليجيزه مطلقا، أي إن ما كان محرما عليهم بالأمس أضحى عليهم حلالا اليوم بمجرد مرسوم هم صاغوه ووقع عليه البابا.

هذا المثال الذي نشاهده على أرض الواقع اليوم لا يزيدنا إلا إيمانا وتصديقا بما ورد في القرآن الكريم عن أهل الكتاب وأخبارهم في تغييرهم المتعمد والمستمر لدينهم، سواءً أكان في العقيدة أم في العبادة، وخاصة عندما اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا. فالمسلم وهو يتلو قول الله تعالى: «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله...» (الشورى، ٢١)، يدرك أن الإيمان منوط بتطبيق شرع الله دون ابتداع في فحواه أو تغيير في معناه. ولقد حذر الله تعالى الذين يكتبون بأيديهم ثم يدَّعون أن ما كتبوه هو تشريع من عند الله، قال الله عز وجل: «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون» (سورة البقرة، ٧٩).

وزيادة في الإيضاح أنقل هنا مثالاً حصل في العام الماضي، يبين مدى تمسك الكنيسة بتحريم الإجهاض إلى آخر لحظة، ثم تراجعها عن ذلك فجأة، إذ دعت بلدية لوندرينا بالبرازيل ممثلي الأديان لعقد ندوة ثقافية ليعرّف صاحب كل ملة بملته بكلمة وجيزة، فكانت كلمة الكنيسة وقتئذ تتعلق بالإجهاض الذي كانت تنعته الكنيسة بجريمة القتل العمد، ثم نوه المتكلم الكنسي بطريقة غير مباشرة إلى أن المسلمين ليس لهم موقف ثابت من تحريمهم لجريمة الإجهاض... وبعد عام واحد من مقولته هذه، صدر هذا المرسوم البابوي لينسخ ما قاله النصارى بالأمس. ولا نريد أن نثير أو نعلق على هذا التباين في تشريعهم، إذ لا يزيدنا هذا إلا إيمانا بديننا وتصديقا لقوله تعالى: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» (النساء، ٨٢).

إن الإجهاض باعتباره حلاً عند الضرورة، وموقف الكنيسة منه ليس حدثا جديدا، فقد أحدث ردود فعل في شهر أغسطس من عام ٢٠٠٩م لما انتقد رئيس جمهورية البرازيل رجال الكنيسة علنا وبشدة لأنهم حرَّموا إجراء عملية إجهاض لفتاة عمرها عشر سنوات اغتصبها زوج أمها فحملت منه بتوأم، ولما شاع خبرها هرب الجاني لتبقى الفتاة مع أمها في حيرة وقلق أثَّر على نفسيتهما فأصابهما مرض الاكتئاب الدائم المؤدي أحيانا للجنون... فقرر الأطباء إسقاط الحمل من هذه الفتاة مرحلة أولى لعلاجها... إلا أن الكنيسة وقتئذ قامت بحملة إعلامية ضد هؤلاء الأطباء، وعم الجدل في كل أنحاء البرازيل حول هذا الموضوع مما جعل وسائل الإعلام وقتئذ تجري استبيانات ومقابلات أجرتها مع مختلف الطبقات لترصد فيها مرئيات الجمهور في هذه المسألة. وجاءت نتائجها أن نسبة ٧٨٪ من الناس يؤيدون الإجهاض لإنقاذ الفتاة، كما كانت وسائل الإعلام تصر وقتئذ على التعرف على حكم الإسلام في الإجهاض فأجرت مع بعض المؤسسات الإسلامية في البرازيل مقابلات صحفية نقل فيها المشايخ ما في الفقه الإسلامي من أقوال وأحكام. ونشرت مجلة رابطة العالم الإسلامي بعددها رقم ٥١٩ الصادر في شهر سبتمبر من عام ٢٠٠٩م قصة الفتاة المغتصبة مع انتقاد رئيس الجمهورية للكنيسة.

وبتحليل مرسوم الفاتيكان بهدوء تام، لمعرفة الأسباب الداعية لإصداره يرى البعض أنه محاولة من رجال الكنيسة للرجوع إلى الحق للإصلاح... فإن كان الأمر كذلك فيكون قد تحقق فيهم قول الله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» (سورة فصلت، ٥٣).

لقد دخل المرسوم حيز التنفيذ بعد أسابيع من صدوره، ذلك لأن المجالس التشريعية ووزارة العدل في البرازيل، أعلنت عبر وسائل الإعلام (أن القانون البرازيلي لم يعد يعاقب من أسقط جنينا قبل ثلاثة أشهر من تكوينه) اهـ. ولفت انتباهنا تحديدهم للثلاثة أشهر كشرط في الإجهاض ـ فمن أين أتوا بها؟! هل هي فطرتهم التي دفعتهم لتحديد هذه الفترة التي تتفق مع ما عليه المسلمون في فقههم ـ قديما وحديثا ـ مجمعين فيها على تحريم الإجهاض بعد نفخ الروح في الجنين، ومختلفين في حكمه إن حصل الإجهاض قبل بث الروح فيه، ففي فتوى هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية قالوا: «الأصل أن إسقاط الحمل في مختلف مراحله لا يجوز، ويشرّع في مدة الطور الأول، لدفع ضرر متوقع أو تحقيق مصلحة شرعية» اهـ.

وأضيف هنا: أنني حضرت حلقة علم لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ أثيرت فيها مسألة الإجهاض وما فيها من أحكام، فرجّح سماحته وجوب اتباع أخف الضررين إن اجتمعا في الحمل، فقال رحمه الله تعالى: «من أجل إنقاذ الأم يجوز إسقاط جنينها شريطة أن لا تكون الروح قد دبت فيه». وللأحناف في هذه المسألة أقوال متباينة أولها إباحة إسقاط الحمل قبل نفخ الرّوح فيه. كما ورد عنهم جواز الإجهاض للعذر فقط، وهذا هو المعتمد في مذهب الأحناف. إلا أن جماعة من فقهاء الحنابلة والشافعية نقلوا في كتبهم جواز الإجهاض مع الكراهية قبل أن تدب الروح في الجنين، وعمدة الجميع في هذه المسألة ما أخرجه الإمام البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويُؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيد».

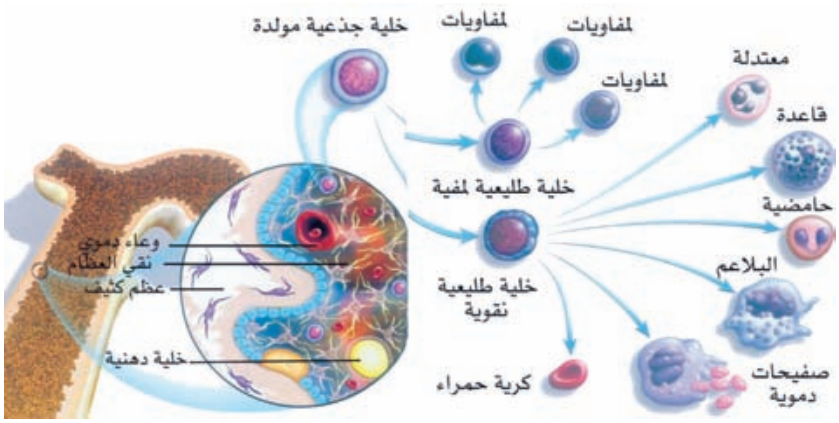

تقنية العلاج بـ(الخلايا الجذعية) :

أمل جديد وواعدٌ للمرضى محفُوف بالمحاذير والمخاوف !

تحقيق أعده / منير حسن منير

مدخل :

ما هي الخلايا الجذعية، وفيما تُستخدم، وكيف تُستخدم، وما هي المحاذير الأخلاقية التي يحذر منها البعض، وما مستقبل استخداماتها، وأخيراً، ما رأي الشرع فيها ؟

أسئلة كثيرةٌ لا تنتهي، ولا تتوقف، بعضها تم الإجابة عنه، والبعض الآخر لا يزال مجهولاً وفي علم الغيب.

هذه محاولة للغوص في القضية ذات التشابكات والتقاطعات من خلال تتبع وقراءة النذر اليسير مما كُتب عنها، وما تم نشره، لأن في كل يوم جديد تتكشف معلومات وإجابات جديدة للباحثين والمختصين والعلماء العاملين في هذا المجال الحديث عما يحاولون إيجاد إجابات شافية، ونتائج وافية عنه.

ثورة علمية أم فوضى أخلاقية ؟!

دخول العلماء والباحثين في مجال الطب لهذا الباب من العلوم الحديثة، لم يكن صدفة ولا من باب المغامرة أو المقامرة، بل بحثاً عن إجابات وحلول لكثير من الأدواء والأمراض التي تصيب الجنس البشري ويقف عندها الطب حائراً أو عاجزاً.

لذلك يعتبر اقتحام هذا المجال حديثاً فيه عالم لا تتوقف في الاكتشافات الطبية الحديثة ليوم واحد. ولكنه مجال يعول عليه هؤلاء الباحثون والعلماء الكثير للوصول إلى ما يمكن أن يكون مدخلا لعلاج الكثير من الأمراض ، مثل إصابات الجهاز الهضمي وأمراض تفشت في العقود الأخيرة كالفشل الكلوي، والبنكرياس وروماتيزم العظام والكبد. ورغم أهمية هذه الأمراض وخطورة بعضها، إلا أن وصول الباحثين الطبيين لما يمكن اعتباره انتصارا واكتشافا مبهراً، كان هو إمكانية علاج أخطر أمراض الدم اللوكيميا (سرطان الدم) الذي شكل انعطافة كبيرة نحو نتائج تبشر بتحقيق اختراق مهم في استخدام هذه الخلايا. وهو ما يفتح الباب للوصول لعلاجات لأمراض مزمنة وصعبة، وكذلك في إصابات الحوادث المميتة والخطرة.

وتتميز الخلايا الجذعية بقدرتها على الانقسام وتجديد نفسها باستمرار، ورغم أنها خلايا غير متخصصة، إلا أنها يمكنها أن تتحور إلى خلايا متخصصة.

وتنقسم هذه الخلايا إلى نوعين، أولهما يسمى بالخلايا الجذعية الجنينية، أما النوع الثاني فهو الخلايا الجنينية البالغة. ويتم

الحصول عليها من مصادر بشرية عدة منها الأجنة المجهضة وأطفال الأنابيب ومشيمة الأمهات، وكذلك الأغشية والسائل الأمنيوسي اللذين يحيطان بالجنين داخل رحم أمه لحمايته وتوفير البيئة المناسبة له للتخلق والنمو.

كما يمكن الحصول عليها من الأطفال الصغار والبالغين على حد سواء، وكذا من الحبل الشوكي للإنسان. وأخيرا عن طريق الاستنساخ العلاجي من ذات المريض سواء من العائلة أو غيرها.

الخلايا الجذعية الجنينية، يتم الحصول عليها من الكتلة الخلوية الداخلية للحويصلة الجذعية، وهي خلايا جذعية وافرة القدرة وتمتلك القدرة على التخصص لأي نوع من الخلايا البشرية عدا خلايا المشيمة والأغشية المحيطة بالجنين. أما تلك الخلايا البالغة، والتي توجد متوزعة في كامل أجسام الأطفال والأشخاص البالغين ، حيث تقوم بتجديد نفسها بعد انتهاء عمرها بغرض تعويض الجسم عن خلاياه الميتة بمرور الزمن وبحسب تقدم الشخص في السن، وهي المرحلة التي تقل فيها أعداد هذه الخلايا، وتسمى بـ(الخلايا المتمايزة).

سباق مع الزمن

وفي هذا المجال، تتجه بعض البحوث الحديثة التي يقودها نفرٌ من العلماء والباحثين في هذا العلم، إلى تطوير سُبل لإعادة الخلايا إلى خلايا جذعية أصلية، أو على ما كانت عليه قبل انتهاء عمرها ويطلقون عليها صفة (التمايز العكسي) وتهدف لإعادة إنتاج خلايا جذعية تتشابه مع تلك الأصلية التي يتم الحصول عليها من الأجنة، وهي خطوة نالت الكثير من الاهتمام كما اعتبرت من أهم الاكتشافات العلمية في المجال الطبي.

ورغم التطور المتردد الذي تمضي به الدراسات في مجال الخلايا الجذعية، إلا أن الأمل كبير لدى بعض الباحثين في أن ثورة علمية قادمة في الطريق ربما تقلب موازين كثيرة في علم الطب والعلاجات المستعصية لبعض الأمراض.

يسابق العلماء الزمن لاكتشاف المزيد من المعلومات لاستخدام تقنية الخلايا الجذعية على أكبر عدد من الأمراض، ورغم أنهم قد وصلوا لنتائج متقدمة في علاج حالات من سرطان الدم، ولنجاح جزئي في أمراض أخرى، إلا أنهم يتوقعون الوصول قريباً لما يأملون نسبة لتعدد مراكز الدراسات والبحوث التي تعمل في هذا المجال.

وبالنسبة لمرض سرطان الدم (اللوكيما)، فقد طبقوا طريقة تقوم على فصل الخلايا الجذعية من الدم أو نخاع العظم والاحتفاظ بها، وبعدها يتم القضاء على الخلايا السرطانية في الدم باستخدام عقاقير تقتل هذه الخلايا، ثم يُعاد تكوين الدم باستخدام الخلايا الجذعية المحفوظة.

أما في الأبحاث الأخرى، فيحتاج الأمر إلى المزيد من التجارب على الإنسان، فنتائج البحوث والتجارب على فئران المعامل لم تسجل نتائج مضمونة لتطبيقها على الإنسان، لضمان نجاحها ومن ثم اعتمادها للتطبيق السريري على البشر لعدة سنوات. غير أن هذا لا يدعو إلى التشاؤم والتوقف، فكل ما يهم العلماء هو عدم انتكاس المريض كما انتكست بعض التجارب حين طبقت على الحيوانات أو الفئران.

كما أن النتائج المبكرة للدراسات السريرية لا تعني بالضرورة أن نتائجها النهائية ستكون بذات النتائج الأولية، وللتدليل على ذلك، فقد أشارت الكثير من النتائج الأولية لدراسات سريرية احتمالية فعالية وجدوى زراعة الخلايا الجذعية في علاج الحالات المتقدمة من سرطان الثدي، بينما أوضحت نتائجها النهائية التي استغرقت عدة سنوات للوصول إليها أن ذلك غير مجد، حيث اختلفت النتائج النهائية ولم تتطابق مع ما تم

أمل مرضى الشلل

أكد علماء أمريكيون أن الحقن بالخلايا الجذعية ساعد فئران تجارب مصابة بالشلل على الحركة، ولكن ليس بالطريقة المتوقعة، حيث توصلوا إلى أن الخلايا الجذعية البشرية المحقونة غطت الخلايا العصبية المدمرة بمركبات مغذية وساعدتها على الحياة.

وأوضح فريق البحث أن النتائج التي توصل إليها تلقي مزيدا من الضوء على قدرات الخلايا الجذعية ، مؤكدين إمكانية إنتاج أدوية تشفي من أمراض ليس لها علاج حتى الآن .

وكان الباحثون قد حقنوا خلايا جذعية بشرية أخذت من أجنة مجهضة في الحبل الشوكي لـ١٥ فأرا مصابة بالشلل، واعتبرت الفئران نماذج مصابة بنوع من الشلل الذي يستفحل ولا علاج له ، وظهر بوضوح أن الفئران كانت قادرة على استخدام أرجلها الخلفية أفضل من فئران أخرى أصيبت بالشلل ولكن لم تحقن بالخلايا الجذعية.

التوصل إليه في بداية الدراسة، وهو ما يدعو إلى التريث في إعلان نتيجة كثير من الدراسات والبحوث. فالإنسان ليس (فأرا) لكي تتم عليه التجارب التي هي في النهاية لفائدته ومصلحته اللتين تقتضيان الحذر والحرص على حياته.

مخاوف فقهية وقانونية وأخلاقية واجتماعية

في خضم هذا التسابق والاهتمام بما تم التوصل إليه من نتائج مشجعة على نجاح مستقبل علاجات أمراض مستعصية وكثيرة، انقسم الباحثون والمهتمون، بل والمتابعون لقسمين. أحدهما (رأي علمي) يشجع المُضي قدما في هذا الطريق، والثاني (رأي أخلاقي) و(ديني) يرى في التوغل عميقا في هذا الطريق بدون (كوابح) وموانع أخلاقية أو عقدية، سيجُر العالم إلى ما لا تُحمد عقباه إذا أخذ منحى (تجاريا وربحياً) بحتاً !

ويُجادل بعض العلماء وأغلبهم ليسوا مسلمين بالضرورة، بأن فتح أبواب مثل هذه البحوث والدراسات على مصاريعها، وبدون ضوابط، سيؤدي إلى خلق (بلبلة) وفوضى عارمة لا يمكن ضمان نتائجها. و يعززون رأيهم هذا بأن الأمر سيتحول إلى استغلال مادي بحت، سيكون الفقراء ضحيته الأولى، حيث سيدخل العامل المادي الربحي كقاسم مشترك ورئيسي في العمليات الطبية بغية جذب أكبر عدد من (البائعين) المحتاجين والفقراء ، لأكبر شريحة من (المشترين) الشركات والمستشفيات مما يُخلف سوقاً غير أخلاقية ولا إنسانية تدمر القيم والمبادئ التي تحفظ التوازن الأخلاقي والقيمي لدى البشر.

من ناحيتهم، يرى كثير من العلماء المسلمين وهيئات علمية وفقهية متعددة أن فتح هذا المجال بدون وضع حد فاصل بين ما هو إنساني، وما هو مادي ربحي، سيدمر قواعد التعامل بين البشر التي وضع الشرع لها أسساً وقواعد تضبط مثل هذه التعاملات التي تكون القيم الدينية قاعدتها المتينة التي تفصل بين ما هو (مادي) و(روحي/ إنساني) ، لمنع استغلال فئة لأخرى على أساس الحاجة والعوز، مقابل الثراء والقدرة، أو التفوق العلمي والتقني، مقابل التخلف والضرورة.

• العلماء المسلمون وهيئات علمية وفقهية يطالبون بعدم فتح المجال بدون ضوابط لأنها ستدمر القيم والأسس الإنسانية التي حددها الشرع

وعلى سبيل المثال، لا الحصر .. فقد تباينت آراء علماء المجامع الفقهية المختلفة حول عدد من القضايا التي عُرضت عليهم في بلدان مختلفة تتناول جميعها هذه التقنية العلاجية الجديدة. ففي موضع استخدام الفائض من أطفال الأنابيب لإجراء تجارب معملية عليها، فقد أيد مجلس المجمع الفقهي الإسلامي جواز تنمية اللقائح الفائضة من عمليات أطفال الأنابيب للحصول على الخلايا الجذعية، فيما امتنعت جمعية العلوم الطبية الإسلامية الأردنية عن إباحة ذلك، قاطعة بأنه لا يجوز. ورأت أن يقتصر ذلك (عند إجراء التخصيب) على العدد المطلوب الذي سينقل إلى الرحم.

أما اللجنة الوطنية للأخلاقيات الحيوية والطبية بالمملكة العربية السعودية، فقد منعت استخدام البويضات الملقحة لاستخلاص الخلايا الجذعية في البحوث العلمية، وبينت أن رأيها يعود لصعوبة ضبط وتقنين مثل هذه الأبحاث، وليس لسبب يتعلق بمانع شرعي.

كما أشعلت تجارب وبحوث الاستنساخ العلاجي قضية خلافية أخرى بين العلماء في مجامعهم الفقهية، حيث أجازت جمعية العلوم الطبية الإسلامية الأردنية الحصول على الخلايا الجذعية بواسطة الاستنساخ العلاجي، إلا أنها قيدت ذلك بضوابط صارمة بحيث (لا تُنقل الخلايا الجسدية إلى الرحم) لأن ذلك يؤدي إلى الاستنساخ التكاثري ـ حسب رأيها ـ كما شددت على ألا

فشل هنا .. ونجاح هناك

اختلفت نتائج البحوث والدراسات التي أجريت على العديد من الأمراض التي تصيب الإنسان من حيث نجاح بعض تجارب العلاجات على بني البشر، ففيما سجل بعضها نتائج إيجابية بنسب عالية، انتهى بعضها الآخر بنتائج أقل في النجاح.

وهنا بعض تلك النتائج والأمراض التي تمت عليها الدراسات المعملية والعملية، مثل أمراض العظام والقلب والشرايين. أمات الحُروق فقد نجحت التجارب عليها بنسب عالية بحيث وصلت إلى علاج الحالات العميقة والواسعة من الحروق.

نخاع العظم :

فشلت التجارب في علاج نخاع العظم، حيث تُزرع في المريض خلايا جذعية من متبرع مطابق له.

القلب والشرايين :

أما في أمراض القلب والشرايين المرتبطة ببعضها، والتي يتم علاجها باستخلاص خلايا جذعية من نخاع عظم جسم المريض نفسه، وزراعتها في مزارع خلوية، ثم حقنها في المناطق المصابة في المريض، فقد تم رفع معدل ضخ الدم من القلب بنسبة ١٧٪ في بعض الحالات.

السكري :

في مرض السكري، أتت التجارب بنتائج باهرة وآمال عريضة، حيث أدى حقن خلايا جذعية إلى البنكرياس في دراسة حديثة إلى علاج هذا المرض بشكل كامل.

الحروق :

وفي حالات الحروق العميقة والواسعة، فقد استطاع علماء إنتاج أجزاء من الجلد معملياً باستخدام خلايا جذعية اسُتخرجت من مرضى حروق فقدوا ما يعادل ٨٠٪ من جلودهم، وزراعتها في مناطق مختلفة من أجسامهم، وسرعان ما نمت هذه الخلايا في مدة لم تتجاوز ٦ أشهر معوضة ٩٥٪ من الجلد المفقود.

سرُ وأعجوبة دم الحبل السري

يعتبر الحبل السري الذي يمد الجنين في بطن أمه بالغذاء، مصدرا غنيا للخلايا الجذعية المصنعة للدم، وهي الحاملة لكل ما يحتويه الدم من خلايا دموية بيضاء المقاومة للعدوى، وأيضاً الخلايا الحمراء الحاملة للأكسجين، وصولا إلى الصفائح الدموية التي تسهل عملية تخثر الدم بعد حدوث إصابة أو جرح ما.

وتكفي الخلايا الجذعية الموجودة في مشيمة واحدة لإعادة بناء خلايا الدم والجهاز المناعي عند طفل مصاب بابيضاض الدم، وهو مرض يتم فيه انقسام خلايا الدم البيضاء بصورة غير سوية مما يوجب قتلها بالمعالجة الكيمياوية، وتكفي هذه الخلايا لعلاج شخص بالغ في حال تنميتها في ظروف خاصة.

يتم شراء البويضات البشرية (حتى لا تُمتهن المرأة ولا تُستغل حاجتها إلى المال)، وهي ضوابط أخلاقية تهدف لإغلاق الباب أما التكسب المالي، و مغامرات ومقامرات بعض الجهات العلمية بعدم الانصياع أو مراعاة الجوانب الأخلاقية والإنسانية.

وامتد الجدل والنقاش والخلاف ليتحول إلى جدل تعدى الأخلاقي والديني، ليدخل مجال القانون والأنظمة الطبية والاجتماعية وحتى الاقتصادية.

لذلك فقد علت الأصوات منادية بضرورة سلامة الجانب الأخلاقي والقانوني منعاً للانفلات غير المنضبط في تجاربها ، وخاصة في مصدر الخلايا الجذعية الجنينية. ويجادل البعض من هؤلاء بأن الأجنة المستخدمة في هذه البحوث والدراسات لم تبلغ من العمر سوى بضعة أيام، أي قبل ظهور الحياة الوظيفية فيها والمتمثلة بوجود أعضاء تعمل كالقلب النابض مثلاً. إضافة إلى أن هناك العديد من المصادر للحصول على الخلايا الجذعية بدون اللجوء إلى الأجنة، كما أن هناك وسائل لتخصيب البويضة

بدون الحاجة إلي الطريقة المعتادة، لذا لم تعترض بعض المجامع الفقهية والعلماء عليها، باعتبار أن الحياة لم تدُب بعد في تلك الأجنة، أي لم تصل لمرحلة اكتمال الأعضاء المكونة لجسم الجنين.

غير أن هذا لا يعني أنه ليست هناك تجارب تجري في بعض المناطق من العالم بدون ضوابط واضحة وبدون علم مسبق لغيرهم من الباحثين عما يجريه البعض الآخر ، وهو ما أدى لزيادة الشعور بالقلق والحذر من انفلات الأمر في النهاية وتحوله إلى تجارة تضاهي، بل تفوق تجارة البشر التي انتشرت في السنوات القليلة الماضية كالنار في الهشيم.

وكانت النتيجة الطبيعية لمثل هذا النقاش والجدل، وإزاء عدم وضوح الرؤية في الجوانب القانونية والأخلاقية على وجه التحديد، أن انقسم المجتمع الإنساني كله حول جدوى وأخلاقية هذه التجارب بين مؤيد ومعارض ولكل منطقه وأسبابه. ليس لأن الوسائل العلمية سليمة قانونياً أو أخلاقياً في رأي هذا أو ذاك، بل للرغبة والقناعة المجردة بضرورة إعطاء فرصة بلا حدود للأطباء والباحثين في سبيل تطور المعرفة البشرية، خصوصاً في بعض الأمراض المستعصية، التي قد تسهم نتائج التجارب في علاجها.

• مراكز البحوث والدراسات والعلماء يسابقون الزمن لاكتشاف المزيد من المعلومات لاستخدام التقنية الجديدة في علاج الأمراض.

كما أن تضارب الرؤى الطبية وغير الطبية، وعدم اكتمال التجارب والبحوث العلمية في الوصول إلى حقائق ثابتة وغيرها من الأسباب، تفرض التأني في النظر إلى الأمر برمته حتى يستقر البحث ويبدأ الأطباء في وضع نتائج هذه التجارب في المكان المناسب ضمن وسائل العلاج المقترحة، لكن المطلوب في

هذه المرحلة من البحث غير المستقرة نتائجه، هو وضع ضوابط أخلاقية و قانونية تسير جنباً إلى جنب مع التقدم العلمي المطرد بشكل سريع حقاً، فما من إنسان إلا ويتمنى زوال معاناة البشر من الأمراض.

• الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن عارض بشدة السماح بالتجارب عند مناقشة الأمر في الكونغرس

آمال عريضةٌ .. وأفق ممتدٌ للنجاح

ورغم الخلاف في الرأي أو التقييم، فلا شك أن هذه البحوث والدراسات على تعقيداتها وتشابكاتها، تقدم للأطباء وسائل متقدمة لإمكانية علاج بعض الأمراض بالخلايا الحية، وهو ما يعرف حتى الآن بـ(العلاج الترميمي لإصلاح الخلل البنيوي والوظيفي وإعادة التكوين في الأعضاء المريضة).

وبموجب ذلك كله، فإن من المأمول أن يتمكن الأطباء في حال تطور التجارب وفهم الكثير عنها، تفادي خروج مواليد مصابين بعيوب خلقية نتيجة التزاوج بين الأقرباء، أونتيجة بعض الأمراض الوراثية، وكذلك إمكانية إعادة ترميم أعضاء الجسم كما في تلف خلايا الدماغ المؤدية إلى الخرف في مرض الزهايمر، وكذلك إصلاح تلف النخاع الشوكي نتيجة الحوادث المرورية، أو إعادة فتح مجرى شرايين القلب الضيقة في حالات تصلب الشرايين، أو تعويض عضلات القلب التالفة بأخرى قوية، أو التخفيف من أعراض الشيخوخة بشكل عام، إلى غير ذلك من مجالات ربما تثبت الأيام أو السنوات القادمة حدوث تقدم هائل في الوسائل العلاجية من دون الحاجة إلى الدواء أو العمليات الجراحية.

أما أبرز الإنجازات العلمية التي حققها الباحثون في مجال استخدام الخلايا الجذعية لعلاج بعض الأمراض أو توقعاتهم بما يمكن أن تحققه هذه الأبحاث فيما بعد برغم الجدل والخلافات التي غطت على المشهد كله، فتتلخص في أحد جوانبها.

• جدلٌ أخلاقي وفقهي وقانوني حول أسلوب العلاج بالخلايا الجذعية

في اقتراب العلماء أكثر فأكثر كل يوم جديد من الهدف المتمثل في الطب التجديدي، حين قاموا بتحويل خلايا المريض إلى خلايا متخصصة قادرة على تعويض تلك المفقودة بسبب مرض ما.

وذلك عبر تقنية سهلة تقوم على إعادة برمجة خلية جلدية مأخوذة من فأر، بإعادتها إلى خلية جنينية، وبذلك يصبح من الممكن حث الخلايا الجنينية مختبريا كي تتحول إلى مختلف الخلايا الأساسية الخاصة بأعضاء الجسم.

ولدعم هذه النظرية، فقد أورد تقرير نشرته صحيفة (نيويورك تايمز)، أن العلماء يراهنون على تكييف هذه التجارب لاستخدامها على الخلايا البشرية، ليصبح بعدها من الممكن أن تتحول الخلايا الجلدية البشرية، إلى خلايا قلب أو كبد أو كلية جديدة، وبالتالي يمكن زرعها ولن يرفضها نظام مناعة جسد المريض. غير أنهم يرفضون توقع متى سيتمكنون من التغلب على المشاكل في تكييف هذه الطريقة المتبعة في هذه التجربة مع الخلايا البشرية.

السياسة على خط المواجهة !

ومن الغريب بالفعل أن السياسة دخلت هي الأخرى على خط المواجهة وصارت طرفاً في الجدل الدائر بين العلماء، حيث كان للرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن، موقف صارم حين شدد على مناقشة الأمر في الكونغرس الأمريكي بواسطة أعضاء حزبه الجمهوري، مستندا إلى قواعد ومحاذير أخلاقية، وذلك حين طرح هذا الموضوع على مجلس الشيوخ الأمريكي للتصويت، وألف الرئيس بوش لجاناً خاصة ضمت علماء وخبراء ورجال أعمال وشخصيات اجتماعية وسياسية لدراسته من جميع نواحيه وتقديم الاقتراحات والإرشادات حوله.

كما تم طرح الموضوع في استفتاء شعبي بولاية كاليفورنيا، بتوجيه أسئلة حول إمكانية وضرورة استعمال تلك الوسيلة، وحاز على أكثرية أصوات الناخبين أثناء الانتخابات الرئاسية التي جرت في نهاية عهد الرئيس بوش، وذلك رغم المعارضة الشديدة التي أبداها رجال الدين وبعض العلماء والحكومة الفيدرالية، كما تمت الموافقة عليه في عدة دول أوروبية منها بريطانيا وإيطاليا وغيرها.

ومن أبرز الاعتراضات التي أبداها المعارضون لتلك الاختبارات احتمال استعمالها لنسخ أجنة وترويج تلك الوسيلة لأغراض تجارية تفتح أبواباً واسعة للابتزاز المالي بواسطة بيع تلك الأجنة أو الأعضاء المنتوجة من الخلايا الجذعية بطريقة عشوائية.

وأما الاعتراض الأساسي الذي أبداه بعض العلماء والسياسيين، فقد استند على قاعدة (أنه لا يجوز شرعياً وأخلاقياً تكوين جنين في المختبر ومن ثم قتله لاستعمال خلاياه حتى إذا كان ذلك الجنين في الطور البدائي بالتكوين ، أي في مرحلة المضغة قبل غرزه في الرحم).

أما العلماء الذين وافقوا وناصروا تلك التجارب والبحوث، وأبدوا حماساً شديداً تجاهه، فكان مصدر حماسهم الشديد لاستعمال تلك الطريقة نابعا عن قناعتهم بأنها ستفتح آفاقاً واسعة في تشخيص ومعالجة الأمراض المستعصية وزرع أعضاء سليمة، وتفهم آلية الأمراض من الناحية الجزئية والتمكن من القضاء عليها أو حتى الوقاية من حدوثها.

إطلاق اسم المؤسس على مصنع كسوة الكعبة

عام ١٣٤٦هـ صنعت أول كسوة للكعبة المشرفة في مكة

إعداد: أسامة بامعلم

بعد مرور ٩٣ عامًا من أمر الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بإنشاء دار خاصة بصناعة الكسوة في مستهل محرم ١٣٤٦هـ، أطلق اسم المؤسس الملك عبدالعزيز على مصنع كسوة الكعبة ليصبح «مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة»، وذلك بعد صدور الموافقة السامية بذلك حسب ما صرح به الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الدكتور عبدالرحمن السديس.

وصف كسوة الكعبة:

جرى تحديث مصنع الكسوة بالآلات الجديدة عام ١٤٢٢هـ، وتم إنتاج قماش الكسوة من مكنة الجاكارد على هيئة قطع كبيرة (طاقة) كل قطعة بعرض (١٠ سم) وبطول ١٤م (١٥ تكرارا)، يتم تفصيل كل جنب من جوانب الكعبة على حدة حسب عرض الجنب، وذلك بتوصيل القطع بعضها مع بعض مع المحافظة على التصميم الموجود عليها، ومن ثم تبطينها بقماش القلع (القطن) بنفس العرض والطول، وعند التوصيلات تتم خياطتها بمكائن الخياطة الآلية وبها مكنة تمتاز بكبر حجمها في الطول، إذ تبلغ نحو (١٦ مترا) وبطاولة خياطة (١٤ مترا) ومزودة بجهازي خط ليزر لتحديد مكان وضع الخامات على الكسوة، وتعد أكبر ماكينة خياطة في العالم، من حيث الطول، وهي خاصة بتجميع طاقات القماش جنبًا إلى جنب، وتعمل بنظام تحكم آلي (كمبيوتر) مع ضغط هواء بنسبة (٥ بار) وبها خاصية تثبيت القماش مع البطانة (القلع) في وقت واحد بكينار متين مصنوع من القطن بعرض ٧ سم تقريبا، لتزيد من متانتها وقوة تحملها أثناء التعليق. وفي أعلى الثوب يتم تثبيته بعرى حبال، تتم خياطته مباشرة على الثوب بواسطة المكائن التي تعمل بنظام تحكم آلي. ويتم تثبيت القطع المطرزة للحزام وما تحته والقناديل الخاصة بكل جنب من جوانب الكعبة بنظام آلي كذلك.

ونظرًا لثقل ستارة الباب يتم تعليقها مباشرة على جدار الكعبة المشرفة، وقبيل تغيير الثوب تشكل لجنة من المختصين في المصنع لمراجعة وتثبيت القطع المطرزة في مكانها المناسب، وكذلك التأكد من اتصال تكرار الجاكارد والتأكد من عرض كل جنب على حدة، والقطع المطرزة المثبتة عليه.

أشهر الألبسة التي كسيت بها الكعبة:

١ كسا النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة الثياب اليمانية.
٢ وكساها عمر وعثمان القباطي.
٣ وكساها يزيد بن معاوية الديباج.
٤ وكساها المأمون الأبيض.
٥ وكساها الناصر العباسي السواد، واستمرت في من بعده.

وقد كانت الكعبة المشرفة تكسى مرتين في يوم التروية الديباج وفي آخر رمضان القباطي (ثياب رقيقة مصرية).

وأنشئ المصنع الجديد للكسوة عام ١٣٩٢هـ، وانتهى في ربيع الثاني عام ١٣٩٧ على طريق مكة جدة القديم على مساحة مائة ألف م٢ ويعمل فيه نحو ٢٠٠ موظف.

مصنوعات مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة:

كسوة الكعبة المشرفة الخارجية.
كسوة الكعبة الداخلية الخضراء.
كسوة الحجرة النبوية بالمدينة المنورة.
هدايا تشبه التطريزات على ثوب الكعبة.

يستهلك ثوب الكعبة ٤٥٠ كجم من الحرير مساحته ٦٥٨م٢ ارتفاعه ١٤م.

أطوال الكسوة الداخلية:

أ - من ناحية حجر إسماعيل ٥,٨٠ م.
ب - بين الركنين ٨,٤٠ م
ت - من جهة باب إبراهيم ١٠,٢٠ م.
ث - ارتفاعها ٧,٥٠ م.
ج - السقف ٩. ١٤ م.

ومقاسات الكعبة بجوانبها الأربعة:

جهة باب الكعبة
١١,٨٢ مترا - ١٢,٥٠ طاقة
جهة الحجر
١٠,٣٠ أمتار - ١٠,٥٠ طاقة
جهة باب الملك فهد
١٢,١٥ مترا - ١٣ طاقة
جهة ما بين الركنين
١٠,٢٩ أمتار - ١١ طاقة.

١٣٤٦هـ أول كسوة للكعبة:

تعود صناعة أول كسوة للكعبة المشرفة في مكة المكرمة إلى عام ١٣٤٦، عندما أصدر الملك عبدالعزيز - رحمه الله - أوامره بإنشاء دار خاصة بصناعة الكسوة في مستهل محرم من نفس العام، وأنشئت تلك الدار بمحلة أجياد أمام دار وزارة المالية العمومية بمكة، وتم بناء المصنع الجديد من طابق واحد في ٦ أشهر.

فكانت هذه الدار أول مؤسسة خصصت لحياكة كسوة الكعبة المشرفة بالحجاز منذ كسيت الكعبة في العصر الجاهلي إلى العصر الحالي.

وفي أول رجب من نفس العام ١٣٤٦، وصل من الهند إلى مكة ١٢ نولا يدويا، وأصناف الحرير المطلوبة ومواد الصباغة اللازمة بذلك والعمال والفنيون اللازمون وكان عددهم ٦٠ عاملا، ٤٠ منهم من (المعلمين) الذين يجيدون فن التطريز على الأقمشة، و٢٠ من العمال المساعدين. وعند حضورهم إلى مكة نصبت الأنوال ووزعت الأعمال وسار العمل على قدم وساق في صنع الكسوة وتطريزها، حتى تمكنوا من إنجازها في نهاية ذي القعدة ١٣٤٦.

وكسيت الكعبة المشرفة بهذه الكسوة التي تعد أول كسوة للكعبة تصنع في مكة، وظلت دار الكسوة بأجياد تصنع

الكسوة منذ تشغيلها، واستمرت في صناعتها حتى عام ١٣٥٨، ثم أغلقت الدار.

وعادت مصر بعد الاتفاق مع الحكومة السعودية إلى فتح أبواب صناعة الكسوة بالقاهرة سنة ١٣٥٨هـ. وأخذت ترسل الكسوة إلى مكة سنويا حتى عام ١٣٨١هـ. ولاختلاف وجهات النظر بين مصر والسعودية توقفت مصر عن إرسال الكسوة منذ ذلك التاريخ.

وأعادت المملكة فتح وتشغيل مبنى تابع لوزارة المالية بحي جرول، يقع أمام وزارة الحج والأوقاف سابقا، والذي أسندت إليه إدارة المصنع، ولم يكن لديها وقت لبناء مصنع حديث. ظل هذا المصنع يصنع الكسوة إلى عام ١٣٩٧هـ. حيث نقل العمل في الكسوة إلى المصنع الجديد، الذي تم بناؤه في أم الجود بمكة، وما زالت الكسوة تصنع به إلى يومنا.

ومن مراحل التصنيع:

تمر صناعة الكسوة بمراحل متعددة كالآتي:

المصبغة:

إزالة المواد العالقة بخيوط الحرير في أحواض ساخنة بمواد كيماوية مخلوطة وموزونة لضمان ثبات درجة اللون المطلوب، قبل صباغة الحرير باللون الأسود للخارج، والأخضر للستارة الداخلية، وتجرى الاختبارات للخيوط الحريرية بالمختبر للتأكد من مطابقتها للمواصفات القياسية المطلوبة، من حيث قوة الخيوط الحريرية ومقاومتها لعوامل التعرية.

النسج:

تحويل الخيوط إلى قسم النسج الآلي عبر أجهزة متطورة، كما يعمل هذا القسم الكسوة الخارجية التي زود في تصنيعها بنظام الجاكارد الذي يحتوي على العبارات والآيات القرآنية المنسوخة، وآخر خال تتم عليه المطرزات.

المختبر :

مطابقة الخيوط للمواصفات من حيث رقمها وقوة شدها ومقاومتها، كما يركب ألوان الصبغة ويجربها على عينات مصغرة من الخيوط لاختيار أفضلها ومن ثم تزويد هذه النسب للمصبغة للعمل بموجبها مع وضع عينة في ماكينة الصباغة ومن ثم تعاد ثانية للمختبر لإجراء الاختبارات اللازمة عليها من حيث (ثبات اللون عليها - مقاومتها للغسيل - قوة شدها) وإجراء جميع التجارب اللازمة عليها، وبعد إنتاج القماش يتم تزويد المختبر بعينات عشوائية من الأقمشة ليتم أيضا فحصها والتأكد من أن جميع المنتج على نفس المواصفات المطلوبة، كما يتم في المختبر عمل بعض الأبحاث في اختيار أجود أنواع الأصبغة وبعض المواد الكيميائية التي تزيد من مقاومة الأقمشة للغسيل والأتربة وزيادة شدها.

الطباعة:

طباعة الآيات القرآنية على الحرير، والزخارف الإسلامية.

التطريز:

يعد من أهم الأقسام، حيث يطرز المذهبات والفضيات والزخارف الإسلامية، بوضع الخيوط القطنية بكثافات مختلفة فوق الخطوط والزخارف المطبوعة على القماش الأسود الذي يشد على المنسج قبل البدء بممارسة الغرز اللازمة والحشو والقبقبة. ينتج قسم التطريز ١٦ قنديلا مكتوبا عليه آيات قرآنية بأسلاك الفضة، و «الصمديات»، وهي عبارة عن سورة الإخلاص مكررة أربع مرات، توضع كل واحدة في ركن من أركان الكعبة، إضافة إلى ١٦ قطعة لحزام الكعبة، و٦ قطع تحت الحزام بمختلف الأحجام، إضافة إلى الستارة الخارجية لباب الكعبة.

التجميع:

يتولى جمع قطع الكسوة في ثوب كامل بجميع الجهات، وتثبيت القطع المذهبة من حزام وقناديل على الثوب الأسود.

رمضان : حوار الذات

بقلم د. عبدالله الشيعاني

خص الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام بصيام شهر رمضان المبارك، ومنّ عليه فيه بالعديد من الفضائل، وأكرمه بليالي المغفرة والعتق من النار، وشرّف الشهر الكريم على بقية الشهور بنزول القرآن فقال عز من قائل: ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) .

وفي السنة المطهرة عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم قال: « هذا شهر رمضان جاءكم تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتسلسل فيه الشياطين » أخرجه النسائي في سننه.

ففي شهر رمضان تصفو النفوس، ويتفرغ المسلم للطاعات، والبعد عن المعاصي، والكف عن الأذى، ويدخل في حوار مع الذات، في كيفية استثمار الشهر الفضيل، لمضاعفة الأجر من المولى القدير، الذي خص العمل الصالح بمكافأة لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، باكتمال الصوم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ اللَّهُ : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ . . . الحديث».

فأضاف الجزاء إلى نفسه الكريمة ؛ لأن الأعمال الصالحة يضاعف أجرها بالعدد ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، أمّا الصوم فإنّ الله أضاف الجزاء عليه إلى نفسه من غير اعتبار عدد، وهو سبحانه أكرم الأكرمين وأجود الأجودين، والعطيَّة بقدر معطيها، فيكون أجر الصائم عظيماً كثيراً بلا حساب .

وجعل في الشهر الكريم أعمالاً أجورها تختلف عن غيره من الشهور ، فالعمرة في رمضان ثوابها مضاعف، فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عُمرة في رمضان تعدل حَجَّةً» ، وكذلك قراءة القرآن الكريم فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة ». وإحياء لياليه بالقيام، يغفر ما تقدم من الذنوب، فقد روى أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من قام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه » وتفطير الصائمين فيه من الأجر العظيم كأجر من صام دون نقص في أجورهم، فقال صلى الله عليه وسلم : (من فطّرَ صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء)، وتحري ليلة القدر لما لها من الفضل وعظيم الأجر، قال تعالى: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) قال المفسرون : أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

ومن الأعمال التي حرص النبي الكريم على التفرغ فيها بالعبادة، الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : « إن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده » وختم الفضل في شهر رمضان بزكاة الفطر، فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل، وتدخل السرور للفقير يوم العيد وتكفيه الحاجة، ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وعفة للفقير من الطلب.

يقول الشاعر الأندلسي ابن الصباغ الجذامي :

هَذَا هِلالُ الصَّوْمِ مِنْ رَمَضَانِ
بِالأُفْقِ بَانَ فَلا تَكُنْ بِالوَانِي
وَافَاكَ ضَيْفًا فَالتَزِمْ تَعْظِيمَهُ
وَاجْعَلْ قِرَاهُ قِرَاءَةَ القُرْآنِ
صُمْهُ وَصُنْهُ وَاغْتَنِمْ أَيَّامَهُ
وَاجْبُرْ ذِمَا الضُّعَفَاءِ بِالإِحْسَانِ

مسجد القيروان - تونس